القرآن واليهود

أحوالهم وأخلاقهم ومواقفهم ومصيرهم

دراسة قرآنية شاملة

تأليف

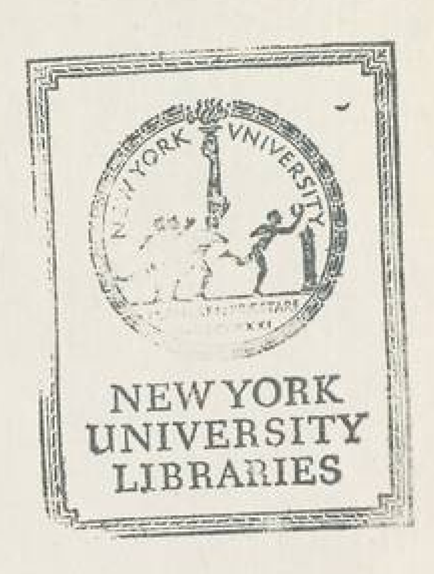
محمد عزة دروزة

١٣٦٧ - ١٩٤٩

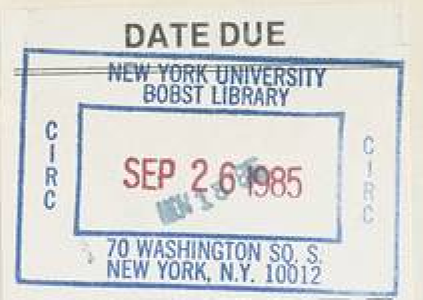
الطبعة الاولى

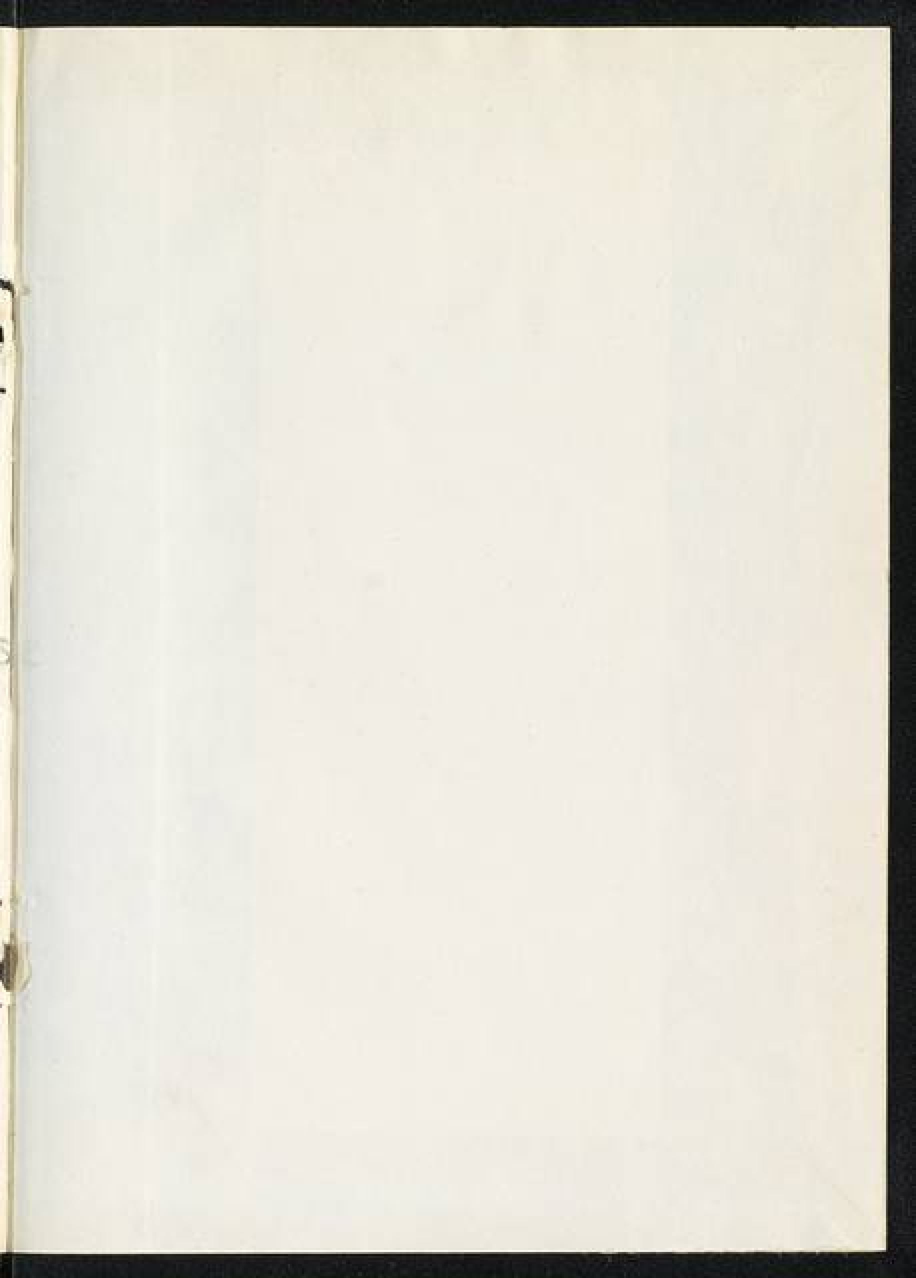
ثمن النسخة ليرة سورية واحدة او ما يعادلها


BOBST LIBRARY
3 1142 01093 2906


NEW YORK UNIVERSITY
NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES







القرآن واليهود

أحوالهم وأخلاقهم ومواقفهم ومصيرهم

دراسة قرآنية شاملة

تأليف

محمد عزة دروزة

١٣٦٧ - ١٩٤٩

الطبعة الاولى

ثمن النسخة ليرة سورية واحدة او ما يعادلها

محتويات الكتاب

من صفحة	الى صفحة	
٣	٦	كلمة بين يدي الكتاب
٧	٥٤	الفصل الاول : احوال اليهود وأخلاقهم . الاساوب المكي والاساوب المدني في ذكر اليهود وتعليل الخلاف بين الاساوبين . اليهود في مكة ــ احوال اليهود في المدينة وما هم عليه من قوة وكثرة وثروة ــ مركزهم الديني والثقافي والاجتماعي والاقتصادي الممتاز بين العرب ــ قرى اليهود في طريق الشام ــ رأيهم في البعثة النبوية وتطيرهم من الهجرة النبوية ــ موقف النبي منهم في بدء الهجرة ــ الآمال المتقابلة عند النبي واليهود في الموقف ــ جنسية اليهود واسرائيليتهم ــ نفي وجود قبائل عربية متهودة في الحجاز

من صفحة	الى صفحة	
		وغيرها – الارتباط المحكم بين اخلاق اليهود المعاصرين وآبائهم – صور متنوعة لاخلاق اليهود الاجتماعية والدينية والشخصية – تقرير القرآن لواقع حالهم من الشتات والذلة والمسكنة وشدة العداء للمسلمين .
٥٥	١٣٢	الفصل الثاني : مواقف اليهود في عهد السيرة المدني .
		وصف اثر قوة الدور الذي قاموا به ايجابياً وسلبياً – مواقفهم ازاء الدعوة الاسلامية بالذات – مواقفهم الحجاجية – دسائسهم بين المسلمين – تآمرهم مع المنافقين – تآمرهم مع المشركين .
١٣٣	١٦٤	الفصل الثالث : وقائع التنكيل باليهود وبواعثها ونتائجها .
١٦٥	١٦٧	كلمة ختامية .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة بين يدي الكتاب

في القرآن فصول عديدة في بني اسرائيل . وهذه الفصول تساعد على رسم صورة وافية لاحوالهم وأخلاقهم في عصر النبي (ص) ثم لمواقفهم من النبي (ص) والدعوة الاسلامية ومصيرهم النهائي في الحجاز .

والفصول القرآنية تربط بين بني اسرائيل المعاصرين للنبي (ص) وبين آبائهم الاولين في مختلف أدوارهم ربطاً محكماً كأنما هي تقرر ان ماعليه اليهود من أحوال وأخلاق في عصر النبي (ص) وما وقفوه من مواقف انما هو مظهر من مظاهر جبلة خلقية راسخة يتوارثها الابناء عن الآباء ، ويتحد فيها الآباء والابناء .

ولقد وصفهم القرآن بالكفر والجحود والحجاج واللجاج

والأنانية والزهو والتبجح، والترفع عن الغير واعتبارهم أنفسهم فوق مستوى الناس ، وعدم الاندماج الصادق مع أحد، والتضليل والتدليس والدس والشره الشديد الى ما في أيدي الغير ، والحسد الشديد لهم ولو تمتعوا أنفسهم بأوفر النعم ، ومحاولة الاستيلاء على الكل والتأثير في الكل واللعب في وقت واحد على كل حبل وفوق كل مسرح ، واستحلالهم لما في أيدي الغير وعدم اعتبار أنفسهم مسئولين عن شيء أمامه ، وضنهم بأي شيء للغير اذا ملكوا وقدروا ، وعدم مبادلتهم الغير في ود وبر وولاء ومحبة ، واندماجهم في كل موقف مهما دنؤ وفجر وكان فيه كفر وفسق وخيانة وغدر في سبيل النكاية بمن يناوئونه ، ونقضهم لمبادىء دينهم في سبيل مكايدته ، وعدم تقيدهم بأي عهد ووعد وميثاق وحق وعدل وواجب وأمانة ، وتشجيعهم لكل حاقد وفاسد ومنافق ودساس ومتآمر في سبيل التهديم ، وشفاء لداء الحسد والحقد والخداع المتأصل فيهم الا قليلا منهم .

ومن العجيب المعجز أن المرء ليراهم في أخلاقهم اليوم على اختلاف منازلهم وبيئاتهم صورة طبق الاصل لما وصفهم به

القرآن من صفات وأخلاق ، لم تزدهم الأيام فيها الا رسوخاً مما هو مصداق لما قرره القرآن من الجبلة الراسخة المتوارثة من الآباء للابناء ، ومما لمسها فيهم البشر جميعا في كل زمان ومكان ، فلا تراهم الا والعين مزورة منهم ، والسخط فائر عليهم ، والنفوس متبرمة بهم ، والناس مستثقلون ظلهم ، والحذر رائدهم منهم ، وشرهم ومكرهم بالغا الاثر فيهم ، والجميع راغب في التخلص منهم بأي وسيلة . وكفى باجماع البشر على اختلاف الزمان والمكان والجنس قوة ودليلا على تأصل تلك الجبلة التي يصدرون عنها في أعمالهم وتصرفاتهم ،وعلى ان البشر ليسوا هم المتحاملون عليهم .

ولقد كنت كتبت فصولا عديدة عن اليهود في كتابي عصر النبي (ص) وبيئته قبل البعثة وسيرة الرسول (ص) (١) اقتباساً من القرآن ، فرأيت أن أجرد بعض تلك الفصول وأنقحها لتكون في رسالة خاصة موجزة في متناول يد كل عربي ومسلم بل وكل انسان على اختلاف النحل والاجناس ، يروا فيها نظرة القرآن الى اليهود وتقريراته في صددهم ،

(١) صدر الاول في دمشق عام ١٩٤٧ والثاني في القاهرة عام ١٩٤٨

وعهد الله وميثاقه في حقهم ، ومصداق تلك النظرة وهذه التقريرات في واقع الأمر من أخلاقهم وصفاتهم ، وليطلعوا على ما كان منهم من شديد الكيد والدس والاذى والكفران والغدر والتآمر ضد النبي والمسلمين ، وعلى ما كان من مواقف حاسمة ضدهم استطاع النبي (ص) بها ان يخلص المسلمين من شرهم ، ويطهر بيئته المباركة منهم لعل في التذكير ما ينفع المؤمنين الصادقين .

٧ صفر الخير ١٣٦٨ — ٧ كانون الاول ١٩٤٩

دمشق — الشام

محمد عزة دروزة

اليهود في الحجاز

جنسيتهم ـ أحوالهم ـ أخلاقهم

– ١ –

شغل اليهود في القرآن حيزا كبيرا سواءمنه المكي والمدني حتى لقد ورد ذكرهم تصريحاً او تلميحاً ومسهباً أو مقتضباً في نحو خمسين سورة من سوره البالغة مئة وأربع عشرة .

والوارد فيهم في القرآن المكي هو في الأغلب في صدد قصصهم السابقة للبعثة النبوية من لدن موسى (ص) وما كان بينهم وبين فرعون وبينهم وبين أنبيائهم ، وما كان من أحداث التاريخ المتصلة بهم في مختلف أدوارهم . ومنه ما فيه اشارة صريحة الى موقف بعضهم من الدعوة النبوية في عهدها المكي كما ان منه مافيه اشارة مطلقة يدخلون في نطاقها في سياق ذكر الكتابيين ومواقفهم من الدعوة المذكورة .

وما جاء في صدد قصصهم السابقة خلا اجمالا من العنف ،

وان كان احتوى بعضه تنديداً ببعض ما كان لهم من مواقف مع موسى (ص) كما أن ماجاء في صدد مواقفهم من الدعوة النبوية قد حكى في بعضه ما كان من ايمان بعضهم وشهادتهم بصدق الرسالة النبوية ، واستشهد في بعضه بما يدخلهم في نطاقه أي بأهل الكتاب والعلم ، على صدق هذه الرسالة باسلوب يشف عن اليقين بحسن الشهادة ، ونوه في بعضه بما يدخلهم في نطاقه أي بأهل الكتاب والعلم ، وأشير في بعضه الى ماهم عليه من خلاف ، وما احتواه القرآن من تصويب لما اختلفوا فيه كما ترى في الامثلة التالية :

أولا الآيات القصصية :

١ – وجاوزنا ببني اسرائيلَ البحرَ فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعلْ لنا الهاً كما لهم آلهة قال انكم قومٌ تجهلون . ان هؤلاء متبرٌ ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغيرَ الله أبغيكم الهاً وهو فضلكم على العالمين . واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوءَ العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيم .
الأعراف ١٣٨ – ١٤١

٢ – واتخذ قومُ موسى من بعده من حُليِّهم عجلاً جسداً له خوارٌ ألم يروْا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين . ولما سُقطَ في أيديهم ورأوْا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونَنّ من الخاسرين . ولما رجع موسى الى قومه غضبانَ أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمرَ ربكم وألقى الألواحَ وأخذ برأس أخيه يجرّه اليه قال ابنَ أمّ ان القومَ استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمتْ بيَ الأعداء ولا تجعلني في القوم الظالمين . قال ربِّ اغفرْ لي ولِأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحِمين . انّ الذين اتخذوا العجلَ سينالهم غضبٌ من ربهم وذلّةٌ في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين . والذين عمِلوا السوءَ بجهالةٍ ثم تابوا من بعدها وأصلحوا ان ربّك من بعدِها لغفورٌ رحيم . ولما سكتَ عن موسى الغضبُ أخذ الألواحَ وفي نسختها هدى ورحمةٌ للذين هم لربهم يَرهبون .

الأعراف ١٤٧ – ١٥٤

٣ – وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هُدىً لبني اسرائيلَ الا تتخِذوا من دوني وكيلا . ذرّيةَ من حملنا مع نوحٍ انه

كان عبداً شكوراً . وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيراً . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم باموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً . ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيراً . عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً .

الاسراء ٢ – ٨

٤ – ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين . الى فرعون وملأه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين . فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون . فكذبوهما فكانوا من المهلكين . ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون .

المؤمنون ٤٥ — ٤٩

٥ – ولقد مننا على موسى وهرون . ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم . ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وآتيناهما

الكتاب المستبين . وهديناهما الصراط المستقيم . وتركنا عليهما في الآخرين . سلام على موسى وهرون . انا كذلك نجزي المحسنين . انهما من عبادنا المؤمنين .

الصافات ١١٤ – ١٢٢ (١)

وثانيا آيات في التنويه مع الاشارة الى اختلافاتهم :

---

١ – وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين . ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون . وانه لهدى ورحمة للمؤمنين . ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم .

النمل ٧٥ – ٧٨

٢ – ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل . وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون . ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة في ما كانوا فيه يختلفون . السجدة ٢٣ – ٢٥

---

(١) اكتفينا بهذه الامثلة القصيرة . وفي سور الاعراف ويونس ويوسف وطه والشعراء والنمل والقصص وغافر سلاسل طويلة في موسى وبني اسرائيل وأنبيائهم جاءت بنفس الاسلوب الخالي من العنف .

٣ - ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين . وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.
الجاثية ٦ — ٧

وثالثا آيات تشير الى مواقفهم والاستشهاد بهم :

١ - أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين .

الانعام ١١٤

٢ - الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون .
الاعراف ١٥٧

٣ – فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين .
يونس ٩٤

٤ – والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من يُنكر بعضه .
الرعد ٣٦

٥ – وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسانٍ عربيٍ مبين . وانه لفي زبر الاولين . اوَ لم تكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل .
الشعراء ١٩٢ – ١٩٧

٦ – ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون . وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون .
العنكبوت ٤٦ – ٤٧

٧ – قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين .
الأحقاف ١٠

هذا في حين ان الوارد فيهم في القرآن المدني هو على الأغلب في صدد مواقفهم من الدعوة النبوية مع ربطه بما كان من آبائهم من مواقف حجاج وتمرد بقصد تقرير توارث الجبلة الاخلاقية بين الآباء والأبناء المعاصرين ، وفيه حملات لاذعة وتقريعات قاصمة على تلك المواقف كما ترى في الامثلة التالية :

١ ـ ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بنَ مريم البينات وأيّدناه بروح القُدس أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون . وقالوا قلوبنا غلفٌ بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا مايؤمنون . ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين. بئسما اشتروا به انفسم ان يكفروا بما أنزل الله بغياً ان ينزل الله من فضله على مايشاء من عباده فباؤوا بغَضبٍ على غَضبٍ وللكافرين عذاب مهين . واذا قيل لهم آمنوا بماانزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وَراءَه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله

من قبل ان كنتم مؤمنين . ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون .

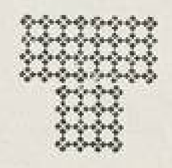
البقره ٨٧ — ٩٢

٢ — ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً . من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بالسنتهم وطعناً بالدين ولو انهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا . ياايها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوهاً فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا . ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيماً . الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولايظلمون فتيلا . انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثماً مبيناً . الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت

ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا .
اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً .

النساء ٤٤ — ٥٢

٣ — مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار
يحمل اسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدي
القوم الظالمين . قل ياايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء
لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين .
ولايتمنونه ابداً بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين . قل ان
الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون . الجمعة ٥ — ٨



- ٢ -

ويستلهم من الامثلة المكية انه لم يكن في مكة يهود كثيرون ، وانما كان فيها افراد مستقرون او افراد يترددون عليها من المدينة او افراد من النوعين معا ، وكانت الدعوة النبوية دعوة الى توحيد الله الذي يقول به اليهود والى الاعتراف بالكتب المنزلة والانبياء السابقين ، وجاهم بمن ينتسبون اليهم ويقدسونهم ، وكانت الآيات المكية غير عنيفة عليهم ، ومنها ما فيه تنويه بهم ، واشادة بما كان من تفضيل الله لهم وعنايته بهم ، ثم كانت تنوه بأهل الكتاب والعلم وتستشهد بهم ، وتقرر وحدة المصدر والجوهر بينهم وبين الدعوة النبوية وبالتالي تتضمن وحدة الفكرة والروح الحزبية ان صح التعبير وقد كانوا يستبشرون ويبشرون ببعثة نبي من العرب يكون حزباً معهم ، ولم يكن يخطر لبالهم ان تقوى الدعوة النبوية حتى تصبح شاملة ، والى يهاجر النبي الى المدينة فيتعرض

مركزهم الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي الممتاز بين العرب للخطر والزلزلة ، ولذلك لم يكن مجال أو امكان لوقوع اصطدام بين النبي وأفراد اليهود الموجودين في مكة تظهر فيه جبلتهم الخلقية سافرة معه تردد صداهاالآيات المكية ، بل كان موقفهم منه موقف المصدق المشجع الآمل بالنفع والتعضيد . أما في المدينة فقد كان الحال مختلفاجداًحيث كانوا كثيري العدد أقوياء النفوذ والمركز والثروة كما يستطاع تبينه من الآيات المدنية التي تساعدعلى رسم صورة كاملة لما كانوا عليه فيها كما ترى في مايلي :

١ - يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وأياي فارهبون. وآمنوا بماأنزلت مصدقاً لما معكم ولاتكونوا أول كافر به ولاتشتروا بآياتي ثمناً قليلا واياي فاتقون . ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين . أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون .

البقرة ٤٠ - ٤٤

٢ ـ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون . واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون . أو لايعلمون أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون . ومنهم أميون لايعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون . وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون .

البقرة ٧٥ – ٨٠

٣ واذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض

فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون .

البقرة ٨٤ - ٨٥

٤ - آيات البقرة ٨٩ - ٩١ التي نقلناها قبل (ص١٤)

٥ - قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين .

البقرة ٩٤

٦ - واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون .

البقرة ١٠٣

٧ - وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى

تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين (١) .

البقرة ١١١

٨ - وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين (١)

البقرة ١٣٥

٩ - وان منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون . ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون .

آل عمران ٧٨ - ٧٩

---

(١) ان السياق هو في صدد اليهود فقط ونرجح أن تعبير النصارى جاء استطرادياً أو من قبيل لسان الحال . ولعل من القرائن الحاسمة على ذلك جملة « أم تقولون أن ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هوداً أو نصارى » في آية البقرة (١٤٠) مع أن السلسلة في صدد موقف اليهود فقط ولا يمكن أن يكون اليهود قالوا ان هؤلاء الانبياء نصارى أو أن الهدى في النصرانية واليهودية على السواء أو أن النصارى يدخلون الجنة أيضاً مع اليهود سواء بسواء .

١٠ ـ يا أيها الذين آمنوا لاتتخـــذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينّا لكم الآيات ان كنتم تعقلون . هاأنتم أولاء تحبونهم ولايحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور . انتمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم مصيبة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئاً ان الله بما يعملون محيط .

آل عمران ١١٨ ـ ١٢٠

١١ ـ ولايحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السماوات والارض والله بما يعملون خبير . لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق . ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد . الذين قالوا ان الله عهد الينا الانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبيّنات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم

صادقين . فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنير .(١)

آل عمران ١٨٠ — ١٨٤

١٢ — واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس مايشترون . لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بمالم يفعلوا فلاتحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم .(١)

آل عمران ١٨٧ — ١٨٨

١٣ — آيات النساء ٤٩ — ٥٠ التي نقلناها قبل (ص ١٥)

١٤ — ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيداً .(٢)

النساء — ٦٠ —

١٥ — فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً . واخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين

(١) الروايا مجمعة على انها في صدد اليهود ومضامينها تدل على ذلك .
(٢) الطاغوت هذا هو أحد قضاة اليهود على ماذكرته الروايات

منهم عذاباً أليماً .   النساء ١٦٠ – ١٦١

١٦ – وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه .

المائدة ١٨

١٧ – انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء .

المائدة ٤٤

١٨ – اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله .

التوبة ٣١

١٩ – ياأيها الذين آمنوا ان كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله .

التوبة ٣٤

٢٠ – وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً .

الأحزاب ٢٦ – ٢٧

٢١ ـ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكفّ أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً . واخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً . (١)

الفتح ٢٠ — ٢١

٢٢ ـ هو الذي أخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا ياأولى الأبصار .

الحشر ٢

٢٣ ـ ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على

---

(١) اشارة الى فتح خيبر والقرى اليهودية الاخرى والاستيلاء على مغانمها .

كل شيء قدير . ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ...

الحشر ٦ ـ ٧

٢٤ - ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون. لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون . لانتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لايفقهون . لايقاتلونكم جميعاً الا في قرى محصنة او من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون .

الحشر ١١ - ١٤

فهذه الآيات تلهم أن اليهود قد جاؤوا الى هذه الناحية الحجازية من أمد بعيد ، وتعلموا اللغة العربية ، واشتركوا في حياة العرب وتقاليدهم ،وصار لهم فيهم أنصار وحلفاء ومحبون ومركز قوي ، وانهم نشروا عن أنفسهم علماً واسعاً في الأديان والشرائع واخبار الامم وسنن الكون والدين السماوي الذي يدينون به والكتاب السماوي الذي بين أيديهم ، وكانوا

يزهون بذلك على العرب ويفخرون ويستفتحون عليهم ، بل ويداسون في كل ذلك عليهم ، ويظهرون غروراً وخيلاء وتبجحاً بما عندهم من العلم وما يصدر عنهم من معارف ولو كان فيها تزييف وتدليس ، ويزعمون انهم أولياء الله وأحباؤه واصحاب الحظوة لديه ، وان ذلك قد أثر على العرب تأثيراً غير يسير ، فكان لهم بسببه بينهم مكانة دينية ممتازة صاروا بها مرجعاً لهم في كثير من مشاكلهم ومسائلهم ومعارفهم بل وصاروا لهم مرشدين وقضاة ، وكان لهم كيان طائفي ديني لهم معابدهم ومدارسهم واحبارهم وربانيوهم ،وكان لهؤلاء أثر كبير في قومهم كما كانوا قضاتهم ، وكان منهم من يتخذ منصبه ونفوذه وسيلة الى ابتزاز المال بالباطل ، وكانوا يتعاطون السحر والشعوذة أيضاً ، وانهم كانوا جاليات كثيرة العدد كثير منهم او اكثرهم قد استقروا في احياء خاصة لهم في المدينـة وحصنوها بالقلاع والاسوار والحصون ، كما كان منهم جاليات تسكن في مزارع وقرى خارج المدينة منها القريب ومنها البعيد، ومحصنة كتلك بالقلاع والحصون والأسوار ، وكان الذين في المدينة منهم عدة فروع ، ويبدو أنهم لم يكونوا متحدين في كيان او هدف

سياسي وعسكري حيث كانوا موزعي الحلف مع عرب المدينة الذين كانوا متنازعين وبينهم حروب وعداء ، فكان كل فرع متحالفاً مع فرع يحارب خصمه الذي كان متحالفاً مع فرع آخر وكانت لهم الحقول والمزارع والبساتين والاموال والتجارة والصناعة ، وكانوا يتعاطون الربا مما ادى الى ازدياد مركزهم قوة وتأثيراً .

ومع أنهم كانوا يبشرون بمبعث النبي العربي ويستفتحون به على العرب (١) ، ومع ان النبي (ص) منذ حل في المدينة كتب بينه وبينهم عهداً (٢) أمنهم فيه على حريتهم الدينية وطقوسهم ومعابدهم وأموالهم وابقاهم على محالفاتهم مع بطون الأوس والخزرج وأوجب لهم النصرة والحماية مشترطاً عليهم الايغدروا ولا يفجروا ولا يتجسسوا ولايعينوا عدواً ولايمدوا يداً بأذى فانهم لم يلبثوا أن تطيروا من هجرته الى المدينة واستقراره فيها ، وأخذوا ينظرون بعين التوجس الى احتمال رسوخ قدمه وانتشار دعوته ، واجتماع شمل الاوس والخزرج

---

(١) البقرة ـ ٨٩ ـ

(٢) البقرة ـ ١٠٠ ـ والانفال ـ ٥٦ ـ

تحت لوائه بعد ذلك العداء الدموي الطويل الذي كانوا من دون ريب يستغلونه في تقوية مركزهم ، وخشوا على المركز الذي هم فيه ، والامتيازات الكبيرة التي كانوا يتمتعون بها ويجنون منها اعظم الثمرات .

ولقد كان ظنهم على مايبدو ان يجعلهم النبي (ص) خارج نطاق دعوته ، معتبرين أنفسهم اهدى من ان تشملهم وأمنع من ان يأمل النبي (ص) دخولهم في دينه وانضواءهم الى رايته ، بل لقد كانوا يرون ان من حقهم ان ينتظروا انضمامه اليهم (١) لاسيما حينما رأوه يصلي الى قبلتهم ، ويعلن ايمانه بأنبيائهم وكتبهم بلسان القرآن ، ويجعل ذلك جزءاً لايتجزأ من اركان دعوته ويتلو فيما يتلوه :

١ ـ قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون . البقرة ـ ١٣٦ ـ

٢ ـ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه المؤمنون كل آمن

---

(١) البقره ـ ١١١ و ١٢٠ و ١٣٥ ـ

بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا .

البقره - ٢٨٥ -

٣ - ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين .

الجاثية - ١٦ -

٢ - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده (١) .

الانعام - ٩٠ -

فخاب ظنهم ، ورأوه يدعوهم في جملة الناس ، بل يختصهم بلسان القرآن احياناً بالدعوة(٢) ، ويندد بهم لعدم مسارعتهم الى استجابتها ولموقفهم منها موقف الانقباض ثم موقف الكفر والتعطيل ، فكان هذا على ماهو المتبادر باعثاً على تنكرهم للدعوه وحقدهم على صاحبها منذ الخطوات الاولى من العهد

---

(١) هذه الفقرة من سلسلة ذكر فيها عدد كبير من أنبياء بني اسرائيل ونوه بهم .

(٢) البقره ٤١ - ٤٤ و ٨٧ - ٩٢ والنساء ٤٤ - ٥٢ والمائده - ١٩ -

المدني، ثم رأوا الناس قد اخذوا ينصرفون عنهم، ويتخذون النبي (ص) مرجعهم الأعلى ومرشدهم الاعظم وقائدهم المطاع، فاستشعروا بالخطر العظيم يحدق بمركزهم الذي يتمتعون به بين العرب وامتيازاتهم التي كانوا يستغلون العرب بها اذا تم النجاح والاستقرار للنبي ودعوته وأرادوا ان يتمسكوا بكيانهم الخاص ولايندمجوا فيها فكان هذا عاملا على اندفاعهم في خطة التنكر والحقد والتآمر والصد والتعطيل الى نهايتها .

ولقد كان من المتوقع على ماتلهم الآيات المكية والمدنية ان يجد النبي (ص) في اليهود سنداً وعضداً ، وان يكونوا اول من يؤمن به ويصدقه ويلتف حوله لما كان بين دعوته وأسس دينهم من وحدة ، ولما احتواه القرآن من تقريرات متنوعة وكثيرة بأنه مصدق لما بين يديه ، ومحتو حل المشاكل والخلافات التي يتعثر بها الكتابيون ، وباستشهادهم خاصة واستشهاد الكتابيين عامة على صحة رسالته استشهاداً ينطوي على الثقة فيهم والتنويه بهم ، ولما كان من حسن استجابة الكتابيين وفيهم اسرائيليون الى دعوته وايمانهم برسالته في مكة ، فيكون في تحقيق هذا المتوقع تيسيراً لانتشار الدعوة

وحسن استقبالها من سائر العرب الذين كانوا ينظرون الى اليهود نظره الواثق بعقلهم وبصيرتهم الدينية ، فلما رأى النبي (ص) منهم من مارأي من الانقباض أولا والتنكر والصد والتضليل والباس الحق بالباطل عن عمد وعناد ثانياً تأثر تأثراً عميقاً من خيبة أمله فيهم رددته آيات القرآن الكثيره مما أوردناه ونورده بعد منكرة منددة مقرعة فكان هذا الاختلاف الذى اشرنا اليه بين الأسلوب القرآني المكي والمدني فيهم .



- ٣ -

هذا ،وننبه على أمر مهم في صدد جنسية اليهود في الحجاز. فالآيات القرآنية سواء في توجيه الخطاب اليهم او في معرض ذكرهم في المواقف المتنوعة ، او في صدد بيان أحوالهم وأخلاقهم قد نسبتهم الى اسرائيل دون استثناء ، وربطت بين اليهود في الحجاز والاسرائيليين الأولين من لدن موسى بل من لدن يعقوب الذي يقال ان اسمه الثاني اسرائيل ربط الأبوة والنبوة فضلاً عن الخلق والجبلة والتاريخ ، يضاف الى هذا أنهم كانوا يعيشون في احياء وقرى خاصة بهم كجاليات طارئ وكعادتهم منذ تشردهم في مختلف الأدوار والبلاد ، وكانت اللغة العبرانية هي لغة كتبهم وطقوسهم ومدارسهم وتخاطبهم فيما بينهم(١) ، وقد أجلى أكثرهم عن المدينة وغيرها

---

(١) الانعام ١٥٦ - ١٥٧ وآل عمران ٧٩ وفصلت ٤٤ والشعراء ١٩٧ - ١٩٩ .

الى بلاد الشام فلم يكن لجلائهم أي أثر ، وفي كل ذلك دلائل حاسمة على أنهم جاليات طارئة ، وعلى انه لم يكن في الحجاز قبائل عربية متهودة ، وان كان لايبعد أن يكون هناك بعض افراد من العرب تهودوا مع أنه ليس هناك من الاسناد الوثيقة مايساعد على الجزم بذلك ، وتسمية بني النضير وبني قريظه وبني قينقاع لاتقوم دليلا ، وكل ما يمكن ان تدل عليه اقتباس الاسرائيليين تسميات وصيغاً متناسبة مع البيئة التي طال عهد اقامتهم فيها ، وما روي من اسماء عربية كان يتسمى بها بعض اليهود فان الروايات وهي تذكر هذه الأسماء لاتلبث أن تذكر آباء اصحابها الاسرائيلية مثل عبد الله بن صوريا وثعلبة بن شعيا ورفاعه بن يزيد بن التابوة ونعمان بن أضا الخ (١) بل وانا لنذهب ابعد من هذا فنقول انه لم يكن كذلك في سائر جزيره العرب وخاصة في اليمن كتل عربية يهودية في عصر النبي (ص) ، واذا كانت الروايات القديمة تذكر أن بعض احياء اليهود في الحجاز استطاعوا نشر اليهودية في

---

(١) ابن هشام ج ٢ ص ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٩ و ١٥٢ و١٥٧ و ١٦٠ و١٦١ و١٦٣ مثلا .

اليمن في عهد التبابعة فليس هناك سند وثيق يؤيد ذلك ، ومع هذا فان كتب السيرة القديمة لم تتضمن اي اشارة الى وجود يهود في اليمن في زمن النبي (ص) كما انها لم تذكر أن عمر أجلا يهوداً عن اليمن حينما أجلا النصارى العرب من نجران اليمن تنفيذاً لوصية النبي بان لا يبقى في جزيرة العرب دينان ، ولقد روى ابو عبيده أن آخر كلام قاله رسول الله هو وصيته باخراج يهود الحجاز ونصارى نجران اليمن من جزيره العرب ، وهذا يدل على أنه لم يكن في اليمن في عهد النبي يهود وانما كان بقية منهم في الحجاز .

وكما أن في القرآن آيات كثيرة تساعد على رسم صورة وافيه لأحوال اليهود ففيه آيات كثيرة تساعد على رسم صورة وافية لأخلاقهم أيضا ، وننبه هنا كذلك أن هذه الآيات قد ربطت على الأكثر بين اخلاق اليهود المعاصرين في الحجاز الذين احتك بهم النبي والمسلمون وبين أخلاق آبائهم الاولين بحيث يصح ان يقال ان هذه الاخلاق ليست خاصة بنهم في الحجاز منهم حين نزول الآيات ، وانما هي جبلة راسخة متوارثة من الآباء والاجداد ، وبالتالي انها صورة لأخلاق اليهود عامة في الحجاز وغير الحجاز

غابرين ومعاصرين ، وهذا مؤيد بما في اسفار التوراة وملحقاتها من لدن موسى وما بعـــد من نعوت وحملات وتقريعات على ما كانوا عليه من غلظ القلب وقسوة الطبع وسوء السيرة والتمرد واللجاج ونقض عهود الله ومخالفة اوامره ، والتبرم بما قد يصيبهم بما كسبت ايديهم ، وعصيان أنبيائه بل وأذيتهم وتكذيبهم وقتلهم ، واستشراء الاخلاق الفاسدة الشخصية والاجتماعية فيهم على مختلف اجيالهم .

واستعراض ماهم عليه اليوم من اخلاق في مختلف مهاجرهم وعلى اختلاف فئاتهم وطبقاتهم وبيئاتهم يظهر أن تلك الجبلة ظلت راسخة متوارثة فيهم .

واليك الان خطوط الصورة القرآنية عنهم :

١ ـ في سورة البقرة الآيات ٤٠ ـ ٤٤ التي نقلناهـــا سابقاً (ص ١٦) ، حيث تسجل عليهم خلق كتمان الحق والباس الحق بالباطل والمكابرة في الحق ، وتفضيل منافع الدنيا عليه ، ووعظ الناس بالبر مع بعدهم عنه .

٢ ـ ومن هذا الباب آيات سورة آل عمران التالية :

يا أهل الكتاب لِمَ تلبسون الحقَ بالباطلِ وتكتمون الحق

وأنتم تعلمون . وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي أنزِلَ على الذين آمنوا وجهَ النهارِ واكفروا آخِرَه لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا الا لِمن تبع دينكم قل ان الهدى هُدى الله أن يُؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم أو يُحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يُؤتيه من يشاء والله واسع عليم . ٧٠-٧٣

وفي هذه الايات زيادة عما احتوته آيات البقرة حيث تسجل عليهم خلق الخديعة والتضليل وتواصيهم بينهم بان لا يتضامنوا ولا يتواثقوا مع غيرهم ، وأن يكونوا مع المسلمين في موقف النفاق والخداع لا غير ، وأن لا يتساهلوا فيما يمكن ان يفيد المسلمين من هدى ومعرفة وحجة .

٣ - وفي سورة البقرة الايات ٧٥ - ٨٠ التي نقلناها سابقاً أيضاً (ص ١٩) حيث تسجل عليهم ما تسجله آيات آل عمران السابقة من خلق النفاق والخديعة وعدم التساهل فيما يفيد المسلمين من معارف وأفكار وحجة ، وحيث تسجل عليهم خلق الكذب على الله في مسائل الدين بسبيل التدليس على الناس وتضليلهم والنصب عليهم والزهو بان لهم الحظوة عند الله لذات المقصد ايضاً .

٤ ـ وفي سورة البقرة الايات ٨٧ ـ ٩١ التي نقلناها سابقاً (ص ١١) حيث تسجل عليهم خلق النقمة على الله اذا ما أنعم بنعمة على غيرهم وانكار الحق الذي كانوا يعترفون به لشدة الغيظ الذي ينتابهم من ذلك .

٥ ـ وفي سورتي البقرة والانفال الآيات التالية :

١ ـ اوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون . البقرة ١٠٠

٢ ـ ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون . فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون . واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين (١) الانفال ٥٥ ـ ٥٨

حيث تسجل عليهم خلق الغدر والخيانة ونقض العهد مرة دون مرة دون مبالاة .

٦ ـ وفي سورة البقرة الآيات التالية :

١ ـ مايود الذين كفروا من اهل الكتاب (٢) ولا المشركين

---

(١) الايات في حق اليهود على ما عليه الرواة وتدل عليه قرائن الحال

(٢) الايات من سلسلة في حق اليهود .

ان ينزّل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم . ١٠٥

٣ ـ ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير . ١٠٩

حيث تسجل عليهم سوء نواياهم نحو المسلمين وحسدهم لكل نعمة تنالهم ، وتمنيهم ان يحولوا دونها بل وتمنيهم ان يرتدوا عن دين الله الى الكفر حسداً وغيظاً مهما كان في هذا من بشاعة وخيانة لدين التوحيد الذي هم عليه .

٧ ـ وفي سورة آل عمران الآية التالية :

« ومن اهل الكتاب ان تأمنه بقنطار يؤدّه اليك ومنهم ان تأمنه بدينار لا يؤدّه اليك الا مادمت عليه قائماً ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (١) .. » ٧٥

حيث تسجل عليهم خلق استحلال ما يدخل في عهدتهم من

---

(١) ان تعبير الاميين عند اليهود ينصرف الى غيرهم من الامم . ومن المحتمل ان تكون الجملة الاولى تعني النصارى .

ذمم وامانات من الامم الاخرى وعدم اعتبارانفسهم مسئولين عن ذلك وانها حق لهم .

٨ – وفي سورة آل عمران ايضاً الآيات التالية :

قل يا أهل الكتاب لِمَ تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون ..

« يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من اهل الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين . وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصمْ بالله فقد هُدِي الى صراط مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاتِه ولا تموتن الا وانتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شَفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون .

٩٩ – ١٠٣

وقد نزلت هذه الآيات بمناسبة فتنة اثارها بعض اليهود بين الأوس والخزرج كادت تعصف بأخوّتهم الاسلامية وتعيدبينهم الحرب والعداء الذي انتهى بالاسلام ، وقد سجلت على اليهود

خلق الدس بين المسلمين حينما رأوهم متفقين منسجمين في اخوة دينيه وقومية بقصد تفريق شملهم واثارة الدماء والعداء بينهم .

وفي نفس السورة الايات ١١٨ — ١٢٠ التي نقلناها قبل (ص ١٥) حيث تسجل عليهم عدم مبادلتهم المسلمين اي حب ومودة مهما اظهروا لهم من ذلك ، واضمارهم لهم شديد البغض والغيظ والنقمة من كل نعمة تنالهم والفرح لكل مصيبة تحل بهم .

١٠ — وفي نفس السورة الآيات ١٨٠ — ١٨٤ التي نقلناها قبل (ص ٢٢) والتي نزلت في حق اليهود بسبب رفضهم التبرع واستهزائهم بما تكرر في القرآن من الدعوه الى قرض الله قرضاً حسناً حيث تسجل عليهم شدة الشح وسوء الادب مع خالقهم ورازقهم حينما يطلب اليهم مساعدة محتاج من عباده او التبرع للمشاريع الخيرية .

١١ — وفي سورة النساء الآيات ٤٤ - ٥٠ التي نقلناها قبل (ص ١٥) حيث تسجل عليهم خلق الارتكاس في الضلال والانحراف عن جادة الحق ليضلوا بذلك المسلمين ويشككوهم في دينهم ونبيهم ، وخلق السخرية بالنبي وسوء الادب في خطابه وخلق التبجح باختصاصهم بالفضل والتزكية واعتبارهم انفسهم

فوق مستوى غيرهم أرومة وهدى كذبا وافتراءً وتدليساً .

١٢ – وفي نفس السورة الآيات ٥١ – ٥٢ (١) التي نقلناها قبل ايضاً (ص ١١) حيث تسجل عليهم خلقاً في غاية البشاعة وهو ايمانهم بأوثان المشركين وحلفهم عندهـا وتبركهم بها وشهادتهم للمشركين بانهم أهدى في تقاليـدهم وعقائدهم من المسلمين مع ان هؤلاء موحدون وداعون الى الله ، وكل ذلك بسبيل تأليب المشركين على النبي والمسلمين والتآمر معهم على القضاء عليهم وبالتالي خلق عدم المبالاة بالسقوط الى اشد الدركات الاخلاقية وبالوقوف في اي موقف فيه العار وتبريرهم كل وسيلة بسبيل النكاية بالمسلمين .

١٣ – وفي نفس السورة الآيات التالية :

« أمْ لهم نصيبٌ من الملك فاذاً لايؤتون الناس نقيراً . أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيما .. »

حيث تسجل عليهم خلق الضن بأي خير عن غيرهم مهما تفه اذا ملكوا واصبح في مقدورهم ان يمنعوا ويمنحوا ، وكذلك

---

(١) نزلت الآيات في حق وفدذهب ليؤلب كفار مكة وقبائلها على غزو المدينة .

خلق الحسد للغير على كل نعمة ينالها وكل خير يصيبه ولو كانوا يتمتعون بوافر النعم وعميم الخيرات .

وفي سورة المائدة الآية التالية :

«فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجلعنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنةٍ منهم الا قليلا منهم ..» ١٣

حيث تسجل عليهم خلق نقض مواثيق الله وعهوده وتحريف الحقائق والحق كما تمليه اهواؤهم ومنافعهم دون خوف من الله وتبييت اكثرهم الخيانة والغدر بالعهود والحقوق دون مبالاة بالناس . وقد قررت الآيات أن الله قد كتب عليهم اللعنة وقسوة القلب بسبب هذة الجبّلة الخلقية الفاسدة فيهم . وننبه على انه قد تكررت الاشارة في القرآن الى خلق اليهود في نقض مواثيق الله وعهوده وتحريف الكلم عن مواضعه وتسجيل غضب الله ولعنته عليهم بسبب ذلك كما ترى في الآيات التالية :

١ – فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون(١) ..»

البقرة ٥٩

(١) من سلسلة في حق اليهود .

٢ – واذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبـــدو نَ الا الله وبالوالدين احساناً وذي القرْ بى واليتامى والمســاكين وقولوا للناس حُسْناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم تولَّيتم الا قليـلا منكم وانتم معرضون .. »

البقرة ٨٣

٣ – واذا أخذنا ميثا َقكم ورفعنا فوقكم الطور خُـــذوا ما آتينا كم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصيْنا و ُأشربوا في قلوبهم العِجل بكفرهم قل بئسما يأمرُكم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين .. »

البقرة ٩٣

٤ – آية النساء ٤٦ التي نقلناها سابقاً (ص ١٥)

٥ – فبما نقضهم ميثاقهم و كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبُنا غُلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلايؤمنون الا قليلا .. »

النساء ١٥٥

٦ – يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تُؤمن قلوبهم ومن الذين

هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم عن مواضعه يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم .. »

المائده ٤١

١٥ – وفي سوره المائده الايات التالية :

وترى كثيراً منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون . لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ..

٦٢ – ٦٣

حيث تسجل عليهم خلق الارتكاس في الاثم والعدوان واستحلالهم المال الحرام دون مبالاة باي طريق جاءهم ، وحيث تسجل على أحبارهم وربانيهم عدم المبالاة بهذه الاخلاق وسكوتهم عنها مما يؤدي الى استشرائها فيهم .

١٦ – وفي السورة نفسها الاية التالية :

وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا

بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن" كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كل" ما أوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله ويسعون في الارض فساداً والله لا يحب المفسدين .

٦٤

حيث تسجل عليهم خلق سوء الادب نحو الله اذا ما ابتلاهم بمحنة وتناسيهم نعمه المتوالية عليهم ، وارتكاسهم في الكفر والبغي والطغيان عناداً وغيظاً من بعثة النبي ووحي القرآن عليه ونجاح مهمته ، وسعيهم المتواصل في الفساد في الارض واثارة الفتن والحروب بسبيل النكاية بالمسلمين وشفاء غلهم منهم .

١٧ ـ وفي السورة نفسها أيضا الآيات التالية :

"لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون .

٧٨ ـ ٨٠

حيث تربط بين الاسرائيليين السابقين والمعاصرين ، وحيث

تسجل عليهم خلق التمرد والعصيان والبغي ، وعدم نهي بعضهم بعضا عن المنكرات وعدم مبالاتهم باستشرائها فيهم ، وحيث تسجل عليهم كذلك خلق التآمر مع مخالفيهم في جوهر الدين والتوحيد ضد المسلمين الذين هم متحدون معهم في ذلك الجوهر وموالاتهم ايغالا في العداء والنكاية .

١٨ ـ وفي السورة نفسها الاية التالية :

لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انّا نصارى .

٨٧

حيث تقرر بصراحة بناء على ما كان منهم من مواقف التآمر والعداء ضد المسلمين أنهم أشد الناس عدواة للمسلمين وانهم في ذلك متحدون مع المشركين الذين هم اعداء اصليون وغير موحدين بحيث يجعلهم عداؤهم لهم يبررون كل عدوان وبغي وتآمر ضد المسلمين مهما كانت الوسيلة .

١٩ ـ وفي سورة الاعراف الاية المدنية التالية :

فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عَرَضَ هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عَرَضٌ مثله يأخذوه ألم

يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون .

١٦٩

حيث تسجل عليهم انهماكهم في اعراض الدنيا وضربهم في سبيلها باوامر الله ونواهيه في كتبه عرض الحائط وتدليسهم في الحق وكذبهم فيه .

٢٠ - وفي سوره الجمعة الايات ٥ - ٨ التي نقلناها سابقا (ص١٦) والتي نزلت بمناسبة مماراتهم في نبوه النبي وانكارهم احتمال فضل الله بالنبوة لغيرهم ، وقد سجلت عليهم غيظهم الشديد لبعثة النبي العربي وافتراءهم على الله في دعوى انهم المختصون بفضل الله وذوو الحظوة لديه ، وضربهم بما عندهم من اسفار التوراه وما فيها من الاسس المتحده مع اسس الدعوه النبوية والبشارات النبوية عرض الحائط وبالتالي حيث سجلت عليهم خلق الحسد والحقد والزهو والغيظ من اي نعمة او خير او فضـــل رباني يصيب غيرهم ، وقد شبهتهم بالحمار الذي يحمل الكتب دون ان يفهم شيئا منها ، ولقد احتوى القرآن آيات تدل على انهم كانوا يبشرون ببعثة النبي العربي ويجـدون صفاته وبشاراته فيما بين

ايديهم من الاسفار بما نقلناه في مناسبات سابقـــة (١) ولذلك استحكمتهم الحجة ودمغهم التشبيه اللاذع .

٢١ ـ وهناك آيات عديده في سور متعدده تسجل عليهم خلق المماراة والمكابرة والحجاج واللجاج والتعجيز وعـــدم المبالاة بالحق الذي يدمغهم والحجة التي تفحمهم ، وتربط بهـذا الخلق بين الاباء والمعاصرين ربطا محكما كانما توحى بانه جبلة راسخة متوارثة فيما بينهم ، وقد مر بعض الامثلة على ذلك ، واليك بعضا آخر :

١ ـ واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون .

البقره ٥٥

٢ ـ واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومهـا وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا

---

(١) آيات البقرة ٨٩ والاعراف ١٥٦

بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

البقرة ٦١

٣ ـ واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله ان اكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون .قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقره صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون . قال انه يقول انها بقره لا ذلول تثير الارض ولا تسعى الحرث مسلّمة لاشية فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون . واذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها والله مخرجٌ ما كنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون . ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل

عما تعملون . أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون .

البقره ٦٧ ـ ٧٥

٤ ـ قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون . أم تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أءنتم اعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ..

البقرة ١٣٩ ـ ١٤٠

٥ ـ ألم ترَ الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا مَلكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ما لنا ألا نقاتلَ في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولّوا الا قليلا منهم والله عليمٌ بالظالمين . وقال لهم نبيّهم ان الله قد بعث لكم طالوت مَلكاً قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤتَ سعة من المال قال ان الله

اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسعٌ عليم ..

البقرة ٢٤٦ - ٢٤٧

٦ - فلما فصَل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الامن اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئةٍ قليلة غلبت فئةً كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ...

البقره ٢٤٩

٧ - يا أهل الكتاب لِمَ تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الامن بعده أفلا تعقلون . ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم . فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لاتعلمون ..

آل عمران ٦٥ - ٦٦

- واذ ل موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم مالم يؤت احداً من العالمين . يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم

ولاترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا ياموسى ان فيها قوماً جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعمَ الله عليهما ادخلوا عليهم البـــاب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنـين . قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابـداً ماداموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ..

المائده ٢٠ــ ٢٤

وهذه الجبلة الخلقية الفاسده المتأصلة فيهم والمتوارثة من الاجداد للاحفاد جعلتهم مظهر غضب الله ولعنته وعهـده بان يكونوا متسربلين في الذلة والمسكنة كما جاء في آيات مرت وآيات تالية حيث تسجل في الوقت ذاته واقع الحال من امرهم بين البشر في مختلف الادوار والامكنة :

١ ــ ضربت عليهم الذلة أين ماثقفوا .لا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ..

آل عمران ١١٢

٢ – قل يأهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بما أنزل الينا وما أنزل من قبل وانّ اكثركم فاسقون . قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبةً عند الله مَن لعنه الله وغضب عليه وجعل منه القردة والخنازير وعبَد الطاغوتِ أولئك شرٌ مكاناً واضل عن سواء السبيل ..

المائدة ٦٠

٣ – اوذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم ..

الاعراف ١٦٧



الفصل الثاني

مواقف اليهود في العهد المدني

- ١ -

تطيّر اليهود كما قلنا من هجرة النبي (ص) الى المدينة وانتشار الاسلام فيها منذ عهد مبكر ، فوقفوا منها موقف التجهم اولا ثم الدس والكيد والتآمر والعداء اخيراً مستنفدين في ذلك كل ماجبلوا عليه من الاخلاق التي وصفتها الايات القرآنية ، والتي كانت جبلة فيهم متصلة بأجدادهم ، وكان لموقفهم اثر شديد بعيد المدى في الحركة الاسلامية والقوة الاسلامية ، أثار في النبي (ص) والمسلمين القلق والهم ، واستنفد كثيراً من قواهم وجهودهم ووقتهم ، واستمر ذلك نحو خمس سنين الى ان تم التنكيل بمن هم في المدينة منهم وهم الاقوى والأشد .

والفصول والحملات القرآنية تعبر أقوى تعبير عن قوة الدور الذي

قام به اليهود وشدة نكايته وبعد مداه وأثره ، سواء اكان ذلك بما كان منهم من جحود وحجاج ومكابرة وعناد ازاء الدعوة أو كيد ومكر ودس وسخرية وتشكيك وأذى بين المسلمين ، أو تآمر مع المنافقين وتشجيعهم لهم حتى ليمكن أن يقال انهم هم الذين اوجدوهم بما بثوا وغوا فيهم من الريب والشكوك ، وأيقظوا من روح التمرد والكيد ، وان المنافقين لولاهم لما نموا وقووا وثبتوا وكان منهم ذلك الاذى البالغ والكيد الشديد، او مواقف عدائية سافرة وتآمر حربي مع المشركين اعداء النبي والمسلمين الاشداء الاصليين حتى كاد هذا التآمر يوقع اعظم كارثة في الاسلام ، ويقضي عليه قضاء مبرماً في غزوة الاحزاب .

ومما يجدر ان ننوه به للدلالة على ما كان لمواقف اليهود وعدائهم من تأثير سلبي في سير الدعوة وانتشارها وفي مركز النبي والمسلمين ومن تأثير ايجابي في قوة اعدائهم انهم لم يكادوا يتواررون عن مسرح المدينة نتيجة لذلك التنكيل حتى ضعف اولا امر المنافقين وصار الى ما وصفتهم به آية سورة التوبة هذه :

« ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات او مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون ..

بعد ان بلغ من شعورهم بعزتهم وقوتهم وكثرتهم ان حرضوا الناس على النبي (ص) وصحبه ، وأن اقسموا ليخرجن الأعز الأذل من المدينة مستشعرين أنهم هم الأعز كما حكته آيات سورة المنافقين هذه :

« واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون . سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لايهدي القوم الفاسقين . هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السماوات والارض ولكن المنافقين لايفقهون . يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعقلون ..

٥ – ٨

وحتى خفت ثانياً غلواء زعماء قريش ، ولم يعودوا يفكرون في غزو المدينة وقتال المسلمين ، وحتى تزايد ثالثاً عدد المستجيبين للدعوة والمنضوين الى راية النبي (ص) تزايداً عظيماً وحتى بلغ الامر رابعاً ان لايرى النبي (ص) بأساً في الرحلة الى مكة للزيارة مع جمع كبير من المسلمين ، وان يجنح زعماء قريش الى مهادنته والاعتراف به نداً ، وان يصبح من القوة بحيث يغزو مكة بعشرة الاف مقاتل ويفتحها ، ويوطد بذلك الوحـــدة الاسلامية العربية ، كل هذا لان العدو الذي كان بين ظهراني المسلمين ، والذي كان شديد الكيد والنشاط والمكر والاذى قد زال من الطريق ، ولم يعد المنافقون يجـدون من يشجعهم أو يزيد لهيبهم اذا خبا ، كما لم يعد العرب يجدون من يشككهم في الحق ويصدهم عن الهدى ، ولم يعد اهل مكة يجدون في المدينة الاعوان والعيون والطاعنين من الوراء ، طعن الغدر والخيانة .

وسيكون الـكلام في هذا الفصل على خمسة مواضيع :

١ ـ موقف اليهود ازاء الدعوة بالذات .

٣ ـ مواقف اليهود الحجاجية .

٤ ـ دسائس اليهود بين الم.لمين .

٤ ـ تآمر اليهود مع المنافقين .

٥ ـ تآمر اليهود مع المشركين .



- ٢ -

فأولا : موقف اليهود ازاء الدعوة .

ان آيات البقرة ٤٠-٤٤ التي نقلناها قبل (ص١٨)، والتي هي من أول مانزل من القرآن المدني على الارجح وخاصة بشأن اليهود صريحة الدلالة على ان اليهود لم يقابلوا الدعوة الاسلامية مقابلة حسنة ، ويلفت النظر خاصة الى ما فيها من نهي لهم عن ان يكونوا اول كافر بالقرآن ، وعن الباس الحق بالباطل وكتم الحق الذي يعرفونه ، ثم الى السؤال الاستنكاري عن أمرهم الناس بالبر وعدم سيرهم في طريقه ، ففي كل هذا دلالات على تلك المقابلة اولا ، ثم على بدو أمارات وقوفهم من الدعوة موقف الجحود والتعطيل ثانياً .

ولقد تبع هذه الآيات سلسلة طويلة تضمنت تذكيرهم بما كان من نعمة الله السابقة على آبائهم ، ثم بما كان من عناد هؤلاء الآباء ومواقفهم التمردية الحجاجية والتعجيزية من انبياء الله واوامره

ووصاياه ، وما كان من نكال الله بهم ثم تضمنت تسلية للنبي (ص) عن عدم ارعواء الابناء وصلاحهم ، وتبديل الجبلّة الخلقية التي ورثوها عن اولئك الآباء الذين كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه ، والذين مالبثوا أن كفروا وارتدوا الى عبادة العجل ، ثم انتقلت الى اليهود المعاصرين ثانية تندد بهم لما بدا منهم من نفاق وتحريف وكيد ودس وغرور وحسد وجحود وتناقض الخ ... نقتطف منها الآيات التالية :

١ - يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين . واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل وهم لاينصرون . واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبّحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم . واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون . واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون . ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون . واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون .

٤٧ - ٥٣

٢ ـ واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون .

٥٥

٣ ـ واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سُجّداً وقولوا حِطةٌ نغفرْ لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون .

٥٨ ـ ٥٩

٤ ـ آية البقرة ٦١ التي نقلناها سابقاً عن طلبهم البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل .

٥ ـ واذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون . ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين . ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين . فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين .

٦٣ ـ ٦٦

٦ – من هـــذه السلسلة الآيات ٦٧ - ٦٨ عن ذبح البقرة وما كان من لجـــاجهم وقسوة قلوبهم ، والآيات ٧٥ - ٨٠ (ص ١٩) عن تواصيهم بعدم إعطاء المسلمين مايحتاجون به ومن تدليسهم في كتاب الله وزهوهم والآيات ٨٧ - ٩٣ (ص ١٤) عن كفرهم بالقرآن ورسالة النبي حسداً وغيظاً مع انهم كانوا يستفتحون بذلك على العرب ويقررون أنه حق ، وقد نقلناها سابقاً .

٧ - ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون . أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون . ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . ٩٩ - ١٠١

ونكتفي بهذه المقتطفات من فصول سورة البقرة في صدد موقف اليهود ازاء الدعوة ، لان فيها الدلالة الكافية على الموقف الجحودي الذي وقفوه من جهة ، ولان مواقفهم الاخرى متفرعة عن هذا الموقف واستمرار له من جهة اخرى ، مع التنبيه على ان في غير هذه السورة آيات عديدة في صدد هذا الموقف فيها تنديد وتقريع لليهود أيضاً .

- ٣ -

ويلفت النظر في صدد هذه المقتطفات :

أولا : الى اسلوبها ، فقد يكون فيها كثير مما جاء في القرآن المكي من قصص بني اسرائيل ، غير أنه جاء باسلوب حملات تنديدية في حين جاء هناك باسلوب قصصي وحسب ، ولا ريب في ان هذا متصل بالموقف الذي وقفه اليهود المعاصرون في العهد المدني .

وثانياً : الى شدة اللحمة التي تبدو في الآيات ، اذ تستهدف تقرير وحدة الجبلة والاخلاق والاساليب بين اليهود على اختلاف أجيالهم ، وتقرير كون الابناء قد توارثوها عن الآباء جيلا بعد جيل ، واذ يشعر القاريء ان الحديث يدور عن جماعة واحدة متصلة العهد والسبب اتصالا وثيقاً ، وهذا واضح في كثرة الانتقال والالتفات في الآيات وتبادل الضمائر بين الغائب والمخاطب ، ويتضح ذلك خاصة في الآيات ٦٧ - ٧٤ و ٧٥ - ٨٠ و ٨٣ - ٨٥ .

وثالثاً : الى وصف الجحود الذي تضمنته الايات ٨٧ ـ ٩٣ خاصة ، اذ تقرر صراحة السبب الذي جعلهم يقفون موقفاً جحوديا مناقضاً لمواقفهم السابقة للبعثة التي كانوا يستفتحون بها على العرب ، فيجحدون شيئاً عرفوه حق المعرفة وبشروا به ، فاستحقوا من اجله هذه الحملات الشديدة ، واللعنات القاسية ، وهو البغي والحقد والحسد .

ورابعاً : الى ما تدل عليه الايات دلالة كافية وخاصة الايات ٧٥ ـ ٨٠ من ان موقفهم الجحودي من الدعوة منذ اوائل العهد المدني كان حاسما ، بحيث لم يبق اي امل في ارعوائهم فيه وتراجعهم عنه ، ولقد كان هذا هو الواقع ، اذ ظلوا عليه على ما تلهمه الايات والفصول المتنوعة باستثناء بعض افراد من علمائهم نوهت بهم بعض الايات القرآنية (١) وما كان من احداث ومواقف متنوعة بينهم وبين النبي (ص) والمسلمين انما تفرع عنه .

هذا ونريد ان ننبه الى نقطة مهمة ، وهي ان اسلوب الايات التي نقلناها ، والذي هو اسلوب تنديدي ليس هو كل شيء في

(١) آل عمران ١١٢ – ١١٥ و ١٩٩ والنساء ١٦٢

صدد دعوة اليهود الى الدين الاسلامي ، فقد احتوى القرآن المدني كما احتوى المكي آيات تضمنت دعوتهم باسلوب هادي، لا تهديد فيه ، مما يدل على ان ذلك الاسلوب التهديدي انما كان كذلك لما كان من مقابلة اليهود السريعة مقابلة غير حسنة للهجرة النبوية وانتشار الدعوة ودعوتهم الى الانضواء اليها .

واليك بعض الايات المدنية التي تضمنت دعوة اهل الكتاب الذين يدخل اليهود فيهم بطبيعة الحال دعوة هادئة على سبيل المثال :

١ ـ فان حاجوك قل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد .

آل عمران ٢٠

ـ قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون .

آل عمران ٦٤

٣ ـ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم .
المائدة ١٥ ـ ١٦

ونلفت النظر خاصة الى آيات المائدة ١٥ ـ ١٦ وبنوع خاص الى الاولى منها ، اذ تضمنت ايذاناً بأن من الخطة التي سوف يسير النبي عليها العفو عن كثير مما يمكن ان يكون صدر او يصدر من المدعوين ، والتجاوز عن هفواتهم ، وتوسعة الصدر لهم ، وفي هذه الخطة ترغيب محبب لاهل الكتاب متسق مع الخطة القرآنية بصورة عامة ، ومع الخطة القرآنية المكية بصورة خاصة كما انها تتضمن نفي كل ما يمكن ان يرد من قول مغرض عن عن نية مبيتة من النبي (ص) نحو اليهود خاصة .

- ٥ -

وثانياً مواقف اليهود الحجاجية

من هذه المواقف ما كان حول ابراهيم (ص) وملته ، وفي صدد تبجحهم بانهم على الهدى وان ملتهم هي خير الملل. ففي سورة البقرة الفصول التالية :

١ - وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون . ١١١ - ١١٣

٢ - ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك

من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير . الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون . ١٢٠ - ١٢١

٣ - ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخره لمن الصالحين . اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون . ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الهاً واحداً ونحن له مسلمون . تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون . وقالوا كونوا هوداً او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق

فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون . قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون . ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هوداً او نصارى، قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون . ١٣٠ - ١٤٠

والآيات قد جاءت على ما يدل سياقها وبعض مضامينها في معرض مواقف اليهود وحجاجهم ، وهذا ما يجعلنا نرجح ان ادماج النصارى في بعضها انما كان من قبيل التعميم والاستطراد. ومهما يكن من امر هذه النقطة فالآيات على كل حال تتضمن حكاية اقوال اليهود ومواقفهم والحجاج معهم .

ويبدو من روحها ومضامينها ان اليهود قابلوا الدعوه الاسلامية بقولهم ان الهدى انما هو في اليهودية ، واحتجوا على دعوى النبي (ص) بانه على ملة ابراهيم (ص) وان دعوته اليها ، فقالوا ان ابراهيم (ص) هو ابوهم وابو الانبياء ، وان ابناءه قد ساروا على ملته ، وان اليهودية التي هي دين هؤلاء الانبياء والابناء هي ملته ، فردت عليهم الايات قائلة ان ابراهيم (ص) كان

حنيفا مسلما ، وهذه هي ملته التي يدعو اليها النبي (ص) ثم قررت العقيده الاسلامية الواجبة على الجميع ومنهم اليهود ، وهي الايمان بالله وبما انزل الى محمد وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى والنبيين جميعاً بدون تفريق بين احد منهم ، واسلام النفس لله وحده ، ودعتهم الى هذه العقيدة ، وطمأنت النبي (ص) في حال عدم استجابتهم مقررة انهم في شقاق وخلاف ، وان الله كافيه شرهم ومكرهم .

وقد نصت الاية (١١٣) خاصة من قبيل الافحام ودحض الحجة التي يحتجون بها على ان شقاقهم ليس فيما بينهم فقط بل بين الكتابيين عامة ، اذ يقرر اليهود انهم وحدهم على الحق وان النصارى ليسوا على شيء منه ويقرر النصارى هذا عن اليهود ، في حين ان الفريقين يتلون الكتاب اي التوراة المشتركة بينهما ، ويؤمنون به ، وهكذا يشهد كل فريق على ضلال الفريق الثاني ، فتصدق الشهادة على الفريقين وتدمغهم حجة القرآن ودعوته ، ويصبح لزاما عليهم اتباع العقيدة التي قررها والتي بها وحدها يتحد الجميع في الطريق القويم ، ويتخلص اليهود والنصارى من شقاقهم ومشاكلهم .

وقد جاء في سورة آل عمران في صدد الحجاج حول ابراهيم (ص) وملته الفصل التالي :

« يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون في ما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين . ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين . .

٦٥ — ٦٨

وفي الآيات شيء مما تضمنته آيات البقرة ، وتلهم وقوع حجاج مماثل لما استلهمناه من تلك الآيات مرة اخرى بين النبي (ص) واليهود ، فنزلت معقبة منددة وموضحة دامغة الحجة . وقد جاءت عقب سلسلة اشير فيها الى موقف حجاجي بين النبي (ص) وبعض النصارى حول ماهية المسيح ، غير ان الآيات التي تلتها احتوت حكاية موقف لليهود فيه كيد ودس . ومهما يكن من امر هذه النقطة فان اليهود داخلون في هذا التعبير على كل حال .

وفي الآيات حجة جديدة ، وهي ان ابراهيم (ص) انما عاش

قبل التوراة ، واليهودية انما بدأ عهدها بعد التوراة وان ملة ابراهيم والحالة هذه لا يمكن ان تكون اليهودية ، وان دعوى اليهود ذلك باطلة من اساسها ، وان أبوة ابراهيم لليهود ليس من من شأنها ان تجعلهم على ملته ، وان تدعم اولويتهم به ، فأولى الناس به هم الذين اتبعوا ملته حقاً ، والنبي (ص) الذي اتبعها ويدعو اليها بصراحة لا التواء فيها ، والذين تابعوه في دعوته من المؤمنين . وهكذا يكون القرآن قد دمغ اليهود في موقفهم الحجاجي الثاني ايضاً ، وزيف دعوى اولويتهم بابراهيم بسبب ابوته لهم وحسب ، وجعل هذه الاولوية للنبي (ص) ومن تابعه من المسلمين .



- ٦ -

ومن مواقف اليهود الحجاجية ما كان حول نبوة النبي (ص) بسبب عروبته ، فقد جاء في سورة الجمعة الآيات التالية :

« هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا قبلُ لفي ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدي القوم الظالمين . قل ياأيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم اولياء لله من دون الناس فتمنوُا الموت ان كنتم صادقين . ولايتمنونه ابداً بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين . .

٢ - ٧

ويستلهم من روح الآيات ان اليهود ادّعوا ان الله قد اختص

بني اسرائيل دون سائر الاجنـــاس بالنبوة ، وأنكروا نبوة النبي (ص) لانه ليس من بني اسرائيل . فردت عليهم الايات بهذه التقريرات القويـة ، فليس من حرج على فضل الله ، وهو مطلق الارادة يختص بفضله من يشاء ، وبهذا الفضل من "على الاميين أي العرب فبعث منهم رسولا يهديهم ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . واليهود مكابرون في دعواهم وانكارهم ، وهم يعرفون الحق ويكتمونه ، والتوراة قد احتوت بشارات بمبعث النبي ، وان مكابرتهم والحالة هذه تجعلهم ينقضون توراتهم ولايقومون بما أوجبته عليهم ، ويستحقون ان يشبهوا بالحمار الذي يحمل اسفار العلم ولاينتفع بها .. ومما لاشك فيه ان النبي واجه اليهود بهذه الايات في مشهد استؤنف فيه الحجاج مواجهة .



- ٧ -

ومنها مواقف حجاج وتحد وسخرية نحو شخص النبي .

١ - فقد جاء في سورة آل عمران الايات ١٨٠ - ١٨٣ التي نقلناها سابقا (ص٢٣) . ولقد ذكر المفسرون والرواة في صدد القسم الاول منها ان النبي قد استعان باليهود ماليا في في ظرف من الظروف تمشيا مع عادة الحلف العربي وتبعاته بواسطة ابي بكر ، فذهب الى محلتهم فردوه رداً قبيحا كما رووا ان ابا بكر ذهب ليدعوهم الى الاسلام واقامة الصلاة وايتاء الزكاه واقراض الله قرضاً حسناً ، فقابلو الدعوة بالجحود والجملة الاخيرة بالسخرية ، وقالوا اذا كان الله يستقرضنا فهو اذن فقير ونحن اغنياء . ولم يرو في صدد القسم الثاني مناسبة خاصة فيما اطلعنا عليه . و على ما حكي عنهم فيه قد صدر منهم في الظرف نفسه الذي صدر فيه عنهم ماحكاه القسم الاول ، جوابا على دعوتهم الى الاسلام . والاية الاخيره تلهم ان هذا الموقف كان بينهم وبين النبي (صلى) مواجهة فيما يتبادر لنا .

ومهما يكن من امر فالايات صريحة بانها تضمنت حكاية موقف بذيء ساخر في حق الله ، وموقف تحد وتعجيز وحجاج من النبي (صلى) وقفه اليهود .

٢ - وقد جاء في صورة النساء الايات ٤٤-٤٦ التي نقلناها كذلك سابقا (ص ١٥) وقد تضمنت صورة موقف ساخر لليهود من النبي (ص) ، حيث كانوا يلوون السنتهم بكلمة « راعنا » حتى تؤدي الى نعت النبي بالرعونة ، ويجهرون بعصيانه فيما يأمر وبدعو ، فيستعملون كلمة « عصينا » « بعد سمعنا » بدلا من الجملة العربية المعتادة « سمعنا واطعنا » او « سمعاً وطاعة » ويدعون عليه بالسوء فيقولون اسمع لاسمعت او اسمع غير مستجاب ، ويقصدون في كل ذلك الانتقاص من الدعوة النبوية والشخصية النبوية والطعن فيهما . ومما يروى ان سعداً بن ابي وقاص (رضي) انتبه الى خبثهم في ليهم كلمة « راعنا » فقال لهم يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه .

وقد يبدو من هذا ان اليهود بعد ان كانوا يحاجون النبي (صلى) ويقفون موقف الجحود دون ان يخرجوا ولو في مواجهة

على الاقل عن حدود الادب رأوا في انفسهم القوة فتجاوزوا هذا النطاق الى الهجوم وبدأوه بالسخرية والبذاءة ، ولعل هذا كان منهم في ظرف ازمة من الازمات مرت بالنبي والمسلمين كواقعة « أحد » فاغتنمها اليهود فرصة للشماتة واظهار ما امتلأت به قلوبهم من غل وحقد .

٣ ـ وقد جاء في سورة النساء ايضاً الآيات التالية :

يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً . ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لاتعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً . فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا . وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً . وقولهم أنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وان

اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتبـــاع الظن وماقتلوه يقيناً . بل رفعه الله اليـه وكان الله عزيزاً حكيماً . وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامـة يكون عليهم شهيدا . فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً . واخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم اموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليما . لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاه والمؤتون الزكاه والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهـم اجراً عظيما . انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبوراً . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبـل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما . لكن الله يشهد بما انزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً . ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا

ضلالا بعيداً . ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً . الا طريق جهنم خالدين فيها ابداً وكان ذلك على الله يسيراً ..

١٥٣ - ١٦٩

والآية الاولى تضمنت حكاية موقف تحدٍ للنبي من قبل اليهود ازاء دعوتهم الى التصديق بنبوته . ومن المتبادر ان هذا التحدي قد كان في مشهد دعوة وحجاج مواجه . أما الآيات الاخرى فقد جاءت تعقيباً على هذا الموقف ، واحتوت ربط موقفهم هذا بموقف آبائهم ، وحملت عليهم حملة شديدة بسبب تحديهم لموسى (ص) وانحرافهم عن مبدأ دينهم ، وافترائهم على مريم والمسيح (ص) . وقد استهدفت الآية التي ذكرت ايمان الراسخين في العلم منهم دمغهم بحجة قاطعة كما هو المتبادر ، كما استهدفت الآيات التي تلتها بتقريرها ان وحي الله بالقرآن لنبيه كوحيه للانبياء الذين يؤمن بهم اليهود بيان تناقضهم في تحديهم وتعجيزهم . ومما لاريب فيه ان النبي (ص) قد أسمعهم هذا الفصل التعقيبي القوي في مشهد مواجه وأفحمهم بالحجة القرآنية الدامغة ، والتقريع القرآني اللاذع .

٤ ـ وقد جاء في سورة المائدة الايات التالية :

« يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم . سماعون للكذب أكالون للسحت فان جاؤوك فاحكم بينهم اوأعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين . وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين . .

٤١ ـ ٤٣

وقد روى جمهور المفسرين والرواة ان الايات نزلت في حادث زنا اقترفه يهودي فطلب اليهود قضاء النبي فيها آملين ان يقضي بغير الرجم الذي هو قصاص الزنا في شريعتهم ، كما ان بعضهم روى انها نزلت في حادث دم ، وهذه الرواية اكثر اتساقاً

مع سياق الآيات التي أتت بعدها لانها ذكرت أحكام التوراة في حوادث الدماء ، ومهما يكن من امر ففي الايات صورة صريحة لموقف حجاج وتعجيز وتهويش وقفه اليهود من النبي ، ويبدو منها انهم كانوا والمنافقين يداً واحدة في هذا الموقف ، وأنه كان له أثر أليم في نفس النبي (ص) لما بدا منهم من تحل وتضليل و كذب وتحريف .

٥ — وقد جاء في سورة المائدة الاية (٦٤) التي نقلناهاسابقاً (ص ٣١) . وقد روى في نزولها أن النبي (ص) استعان ببعض اليهود على بعض الديات تمشياً مع واجبات الحلف فشكوا له ضيق الرزق ، وقالوا ان يد الله مغلولة عنهم فيه .

وعلى كل حال ففي الاية صورة لموقف حجاج يهودي أساء فيه اليهود أدبهم في حق الله ، وقد سبق منهم موقف مماثل حكته آيات آل عمران ١٨٠ - ١٨٤ على ما شرحناه قبل ، مع فارق كونهم في ذلك الموقف زاهين بغناهم في حين انهم في هذا الموقف كانوا يشكون اذ بدل الله حالهم بالعسر بعد اليسر وبالضيق بعد السعة وبالفقر بعد الغنى .

ويبدو من مضمون الاية أن هذا الموقف الذي وقفوه كان

بتيعشا مما كان يملأ صدورهم من الغيظ والسخط من رسوخ قدم
النبي وانتشار دعوته ، ولعل مما يصح أن يضاف الى هذا احتمال
كون المسلمين قد انصرفوا عنهم وقاطعوهم بسبب مواقف
الكيد والجحود التي ما فتئوا يقفونها ، واستجابة لامر القرآن
ونهيه وتحذيره ، فأثر ذلك في حالتهم الاقتصادية تأثيراً سيئاً زاد
في غيظهم وسخطهم وتبرمهم ، ودفعهم الى ما كان منهم من
سوء الادب في حق الله ومن رد غير جميل لرسول الله . ولقد
جاء بعد هذه الاية آيتان في ثانيتهما قرينة على صحة ماخمناه وهما :
ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم
ولأدخلناهم جنات النعيم . ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل
وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم
منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون .

٦٥ - ٦٦

الذي يلمح انهم في حالة ضيق ، وان سبب هذا هو ما كان من
موقفهم الجحودي . وواضح أن في هذا فوق الصورة التي نبهنا
عليها مشهداً من مشاهد الحال التي صار اليها اليهود . وننبه على
أن الآيات وسياقها في حق اليهود وانها تحتوي مشاهد واقوالا

واقعية لهم ، ونرجح أن ذكر الانجيل جاء من قبيل التعميم والاستطراد . .

٦ — وقد جاء في سورة البقرة الآيتان التاليتان :

« قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدىً وبشرىً للمؤمنين . من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين »

٩٧ — ٩٨

وليس لليهود ذكر في الآيات ، غير أنها جاءتا في سلسلة في حق اليهود متصلة بها من قبل ومن بعد كما ان الروايات تذكر أنها نزلتا بمناسبة حوار وقع بين النبي (ص) وبعض اليهود حول جبريل عليه السلام ، اذ سألوه عمن ينزل عليه بالوحي ، فلما قال لهم أنه جبريل قالوا هذا عدونا . وذكر بعض الروايات انها نزلتا بمناسبة حوار وقع بين عمر بن الخطاب (رضي) وبعض اليهود قالوا فيه ان جبريل وميكال عدوان لليهود .

ومهما يكن من أمر ففي الآيتين موقف من مواقف اليهود التمحلية والحجاجية متصل بوحي الله وملائكته وصلتهم بالنبي (ص) كما هو المتبادر .

- ١١ -

ومن موافقهم الحجاجية ما كان حول القبلة والكعبة والحج. فقد جاء في سورة البقرة الايات التالية :

« سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قلْ لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وَسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيْه وان كانت لكبيرة الاعلى الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوفٌ رحيم . قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنوَليَنّكَ قبلةً ترضاها فولّ وجهك شطْرَ المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون . ولئن أتيْت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم

ومابعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعدما جاءك من العلم انك اذاً لمن الظالمين . الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون . الحق من ربك فلا تكونن من الممترين . ولكلٍ وجهةٌ هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ماتكونوا يأتِ بكم الله جميعاً ان الله على كل شيء قدير . ومن حيث خرجت فول وجهك شطرَ المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون . ومن حيث خرجت فول وجهك شطرَ المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطرَه لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون . كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون . فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولاتكفرون ... »

١٤٢ - ١٥٢

ولقد قال جمهور المفسرين والرواة ان المقصود من السفهاء هم اليهود . وفي الايات قرينة على ذلك في ذكر اهل الكتاب وكتمانهم الحق مع علمهم به ، مما وصف به اليهود اكثر من مرة

في القرآن ، هذا الى ان الايات مسبوقة بسلسلةٍ طويلةفي حق اليهود . وهكذا تكون الايات قد تضمنت فيما تضمنته صورة لموقف من مواقف اليهود الحجاجية والكيدية في ظروف تبديل سمت القبلة من بيت المقدس الى الكعبة البيت الحرام .

وروح الايات تلهم انه كان لهذا التبديل وقع شديد على اليهود . فقد كان النبي (ص) في مكة يتجه في صلاته الى الكعبة ، ثم اتجه الى المسجد الاقصى عزوفاً عما كان في الكعبة من اصنام ، وتفادياً من اشتراكه في الاتجاه اليها مع المشركين او لعله فعل هذا عند هجرته من مكة من اجل هذين السببين من جهة ، وتأثراً من موقف اهل مكة الجحودي والمؤذي الذي اضطره الى مفارقة مكة من جهة ، وتألفاً لليهود وتسهيلا لاجابتهم لدعوته من جهة . وقد عددنا العلل لاننا لم نطلع على تعليل قديم وثيق ، ولا على توقيت وثيق لاتجاه النبي الى المسجد الاقصى . ولكن اليهود وقفوا منه موقف الانكار والجحود والدس ، واخذوا يزهون عليه وعلى المسلمين بأن اتجاههم الى قبلتهم هو اعتراف بأنهم على الهدى ، وبأن النبي والمسلمين انما يقتبسون الهدى منهم ، وبأنهم أولى ان يتبعوهم

ويندمجوا فيهم لا العكس ، فحزّ هذا في نفس النبي (ص) وانبثقت فيها أمنية التحول عن سمت المسجد الاقصى ، ولاسيما قد ظهر من اليهود ما أيأسه منهم .

ومطلع الاية (١٤٤) بنوع خاص اي جملة : « قد نرى تقلب وجهك في السماء » قرينة قوية على ما اعتلج في نفس النبي من ازمة بسبب الاتجاه نحو المسجد الاقصى وزهو اليهود وموقفهم من ذلك ، وعلى ماقام فيها من رغبة في التحول عنه ، وجملة « فلنولينك قبلةً ترضاها » في الاية المذكورة يمكن ان تلهم أن النبي (ص) حين صار يائساً او كاليائس من اليهود ، وثارت في نفسه تلك الازمة وقامت فيها هذه الرغبة تراآى له ان اتجاهه الى قبلتهم مما يضعف قوة دعوته ، وان دعوته الى قبلته الاولى مما يؤلف قلوب العرب ، كما ان ذلك هو الأولى ، لانها بيت الله العربي القديم الذي يعرفه العرب ويرتبطون به ، والذي هو من عوامل وحدتهم الروحية بسبب اشتراكهم جميعاً في حجه ، فكان يتمنى ان يتحول اليه في صلاته ويكون قبلته ثانية ، ولعله كان يسمع تألماً او انتقاداً او يرى حيرة من العرب مسلمين وغير مسلمين من الاتجاه الى المسجد الاقصى واهمال

الكعبة المقدسة والمعروفة بيت الله عندهم من قديم الاحقاب ، فكان هذا مما قوى ما في نفسه من الرغبة والامنية . ولعل جملة : « لئلا يكون للناس عليكم حجة » تتضمن قرينة على ذلك .

ولقد رأى اليهود في هذا التحول ضربة شديدة توجه الى مكانتهم الدينية وسيلتهم الى الزهو على النبي والمسلمين ، فنشطوا على ما تلهمه الايات الى الدس والحجاج وتشكيك المسلمين ، فقالوا اذا كان سمت المسجد الاقصى غير حق فقد أضاع النبي عبادة الذين صلوا اليه ، واذا كان حقاً فلا معنى للتحول عنه ، وتكون الصلاة إلى الكعبة ضائعة ، وقالوا ان افعال النبي لو كانت مستندة الى وحي رباني لما نسخ اليوم مافعله بالأمس ، ولما قال اليوم قولا ثم نقضه في الغد لاسيا في الامور التعبدية . وهذه الاقوال مما تضمنت الهامه آيات اخرى سنوردها بعد .

ويبدو من روح الايات ومضامينها انهذه الدسائس والدعايات والمواقف الحجاجية قد أثرت بعض الاثر في بعض المسلمين ، فاحتوت الايات تطميناً لهم ، وحملة على اليهود ، وتثبيتاً للنبي فيما أوحي اليه به مثل تقرير أن المسئلة ليست في الشرق والغرب

وانما هي في الاتجاه الخالص الى الله ، وأن تبديل القبلة الأولى بالثانية هو اختبار رباني لقوة ايمان المسلمين واتباعهم الرسول ، وأن من نعمة الله عليهم أن بعث فيهم رسولا منهم يعلمهم ويزكيهم فحق عليهم شكره وذكره والثبات على ما فرضه ، وعدم جحود نعمته والتردد في اتباع ما يأمر به ، وأن الله لا يمكن أن يضيع ايمانهم وصلاتهم ، فعليهم أن يطمئنوا ولا يستمعوا لدسائس اليهود الذين يعلمون أن ماوقع حق وان كتموه ، وأن يستيقنوا أن انتقادهم سفه فلا يعبأوا به ، وأنه لا أمل في اتباعهم دعوة النبي (ص) وقبلته فلم يبق محل لاتباعه قبلتهم وأهواءهم .

وهذه السلسلة مسبوقة بسلسلة أخرى نعتقد أن لها صلة بالموقف وأنها نزلت هي أيضاً في مناسبة نقتطف منها مايلي :

١ ـ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزّل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم . ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير . ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والارض وما لكم من دون الله من ولي

ولا نصير . أم تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل . ودّ كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير ...

١٠٥ - ١٠٩

٢ - ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرة عذاب عظيم . ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثمّ وجه الله ان الله واسع عليم ..

١١٤ - ١١٥

٣ - واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين . واذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً واتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى وعهدنا الى ابراهيمَ واسماعيل أن طهرا بيتيَ للطائفين والعاكفين والركع السجود . واذ قال ابراهيم ربِ اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمراتِ مَن آمن منهم بالله

واليوم الاخر قال ومَن كفر فأمتّعه قليـــلا ثم أضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعـد من البيت واسماعيل ربنا تقـبّل منا انك انت السميع العلـيم . ربنا واجعلنا مسلمـــين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتبْ علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتِك ويعلمهم الكتاب والحكمـة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم . ومن يرغب عن مـلة ابراهيمَ الا من سفِه نفسَـه ولقد اصطفـيْناه في الدنيـا وانه في الاخرة لمن الصـالحين . اذ قال له ربه أسلِم قال أسلمت لرب العالمين . . .

١٢٤ – ١٣١

ولقد روي في صدد الاية (١٠٦) ان اليهود كانوا يغمزون النبي ويثيرون الشك في المسلمين بقولهم انه يأمر بالشيء ثم ينهى عنه ، وان هذا ليس شأن الانبياء ، ويلقنونهم طلب البراهـين منه على نبوته بسبيل ذلك ، فاحتوت الايات طمأنة المسلمين ، فالله اذا نسخ امراً فلحكمة رآهـا ، ولعل الناسخ يأتي خـيراً من المنسوخ ، وان الكتابيين ـ والمقصود هنا اليهود للقرينـة

القائمة - لايريدون لهم أي خير كالمشركين ، وأن كثيراً منهم يودون أن يرتدوا كفاراً حسداً وحقداً ، وانه لاينبغي للمسلمين ان يقفوا من النبي موقف اليهود من موسى ، يحاجونه ويرادونه ويسألونه البراهين ، فان مغبة هذا ان يتبدل ايمانهم بالكفر . والذى يتبادر لنا ان اليهود غمزوا النبي بما غمزوه من النسخ بمناسبة تبديل القبلة قصد الدس والتشكيك ، فاحتوت الايات ما احتوته من الطمأنة والتحدير .

وفي الايتين ١١٤ - ١١٥ مايمكن ان يكون قرينة على هذا التوجيه ، اذ احتوت الاولى تنديداً بمن يعطل مساجد الله ويسعى في خرابها ، والثانية اعلاناً بان المشرق لله والمغرب لله وان الله موجود اينما يولي المسلمون وجوههم ، والاولى تلهم انها تنديد باليهود ، لانهم دسوا وشككوا في ظروف تبديل القبلة وفي هذا سعي في خراب بيت الله واهماله ، وينطوى في الثانية معنى سعة أفق الدعوة الاسلامية واهتمامها بالجوهر دون العرض تلقيناً للمسلمين حتى لايعبأوا بما يبثه اليهود فيهم .

اما الايات ١٢٤ - ١٣٠ ففيها توكيد لقدسيه الكعبة وتقرير انها بيت الله ومعبده المطهر ومثابة للناس منذ طويل الاحقاب ،

ولصلة ابراهيم واسماعيل (ص) بها وبأمن منطقتها ومناسك حجها ولصلة العرب بابراهيم واسماعيل بالنبوّة وكون بعثة نبي فيهم منهم هي امنية من امانيها ، ولأساس ومفهوم ملة ابراهيم وهي اسلام النفس لله وحده وكون المنحرف عن ذلك ضال خاسر نفسه .

وننبه على مايمكن ان تلهمه فقرة « وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم » في الاية ١١٤ من اعتراف اليهود في موقف ماقبل البعثة او بعدها بفضل الكعبة وصلتها بابراهيم (ص) وسبقها المسجد الاقصى بسبب ذلك ، اذ تكون الحجة القرآنية قد جبهتهم بما كان من اعترافهم ثم انكارهم لما اعترفوا وسعيهم ضده بالدس والتشكيك ، واذ أريد بآيات السلسلة تقوية للحجة الدامغة تقرير واقع موقفهم وبواعثه ، وهو الغرض والهوى والحقد والمماراة ، ولقد كانت هذه الفصول القرآنية تتلى جهرة ، ولا بد من ان يكون اليهود قد سمعوها او وجهت اليهم في مشهد من المشاهد كما سمعها العرب على اختلاف سرائرهم .

ومع ذلك يظهر أن اليهود لم يرعووا عن المكابرة . فقد جاء في سورة آل عمران الآيات التالية :

« كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ماحرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين . فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون . قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . ان أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين .

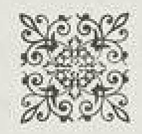
« قل يأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ماتعملون . قل يأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون . يأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين .

٩٣ — ١٠٠

وقد روى الرواة في صدد القسم الاول من الآيات أنه

نزل في سياق موقف حجاجي بين النبي واليهود حول تحليل النبي (ص) لحوم الأبل وألبانها اذ انتقد اليهود ذلك لمخالفته للتوراة وملة ابراهيم . ورووا في صدد القسم الثاني أنه نزل في سياق موقف حجاجي آخر بينه وبينهم ايضا ادعى اليهود فيه أفضلية المسجد الاقصى على الكعبة . وكل رواية متسقة مع مضمون القسم الخاص بها من الآيات ، غير انه يتبادر لنا ان الايات نزلت دفعة واحدة في سياق موقف حجاجي واحد اتصل الموضوعان فيه ، اذ انكر اليهود ماقررته آيات البقرة من صلة الكعبة وحجها بابراهيم وقالوا ان التوراة لاتذكر شيئاً من ذلك ، فردت عليهم الآيات بان التوراة لاتذكر أشياء كثيرة مما كان قبل نزولها ، وضربت مثلالهم بمحرمات الاطعمة التي ذكرتها التوراة مع أن كل طعام كان حلا لبني اسرائيل قبلها . وتحدتهم بتلاوة التوراة واثبات عكس ذلك . ومهما يكن من أمر هذا التوجيه فان القسم الثاني متصل تصالا صريحاً بموقف حجاجي في شأن الكعبة وفضلها وقد احتوى تثبيتاً لما قررته آيات البقره من صلة ابراهيم (ص)

بها وقدمها على كل بيت عبادة آخر ، وبالتالي على المسجد الاقصى ، وان من علائم فضلها ان كل من دخل حرمها آمن ، وان الله قد فرض حجها على كل من استطاع الى ذلك سبيلا من الناس ، وان فيها مقام ابراهيم ذا العلامات الواضحة المعروفة ، ثم حمل على اليهود حملة قوية وحذر المسلمين منهم .



- ١٢ -

ومما يصح ان يلحق بهذا المبحث ما حكته آيات عديدة عن غرور اليهود وتبجحهم الذين كانا يبدوان منهم حينما كانت توجه اليهم الدعوة ، او يحدث بينهم وبين المسلمين حجاج وجدل .

(١) فآيات البقرة ٧٩ ـ ٨٠ التي نقلناها سابقاً (ص١٩) تضمنت حكاية موقف تدليس لهم على العرب بما كانوا يظهرونه من تعالم ، وينسبون ما يقولونه ويكتبونه الى الله افتراءً عليه استبقاءً لما لهم عندهم من ثقة ومكانة ، وحكاية موقف تبجح ازاء ما كانوا يسمعونه من الانذار القرآني فيقولون ان المذنب منهم لن تمسه النار الا اياماً معدودة ثم يناله عفو الله لما لهم من حظوة خاصة عنده ، والمتبادر ان هذا الموقف خاصة هو من باب المواقف الحجاجية فوق ما فيه من تبجح زائف .

(٢) وفي سورة البقرة الاية التالية :

« واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين . . . »

٩١

وقد تضمنت حكاية موقف غرور واستخفاف لهم اذ كانوا يقولون ان ما عندهم كاف لهم وان لاحاجة لهم بغيره حينما كانوا يدعون الى الايمان بالقرآن والنبوة المحمدية . والفقرة الثانية تلهم ان هذا القول منهم كان في مشهد حجاج ودعوة مواجهة كما هو المتبادر .

وفي السورة نفسها الآيات التالية :

« قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين . ولن يتمنوه ابداً بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين . . . »

٩٤ ـ ٩٥

والمتبادر ان تحدي اليهود في الاية قد كان جواباً على موقف

حجاج وتبجح قالوا فيه انهم وحدهم على الهدى ، وأنهم من أجل ذلك هم وحدهم أصحاب الحظوة عند الله في الآخرة ، فتحدتهم الآيات بقوة منطوية على التقريع والتزييف ، ولقد جاء في سورة الجمعة تحد مقارب لهذا رداً على تبجحهم بأنهم اولياء لله من دون الناس كما ترى فيما يلي :

« قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين . ولايتمنونه أبداً بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ... »

٦ – ٧

مما يدل على ان هذا التبجح منهم في المشاهد الحجاجية كان يتكرر آناً بعد آخر .

(٤) وفي سورة البقرة ايضاً الآية التالية :

« وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . . »

١١١

وهذه الاية متصلة فيما هو المتبادر بالموقف التبجحي الذي

ذكرناه في الفقرة السابقة ، لانها من سلسلة واحدة مع الايات السابقة لها ، حيث ادعوا في موقف من المواقف انهم وحدهم على الحق وان الجنة لن يدخلها الا اليهود .

(٥) وفي السورة نفسها الاية التاليه :

« وقالوا كونوا هوداً او نصارى تهتدوا . . »

١٣٥

وهذه ايضاً متصلة بالموضوع نفسه ، حيث ادعوا في موقف من المواقف ان الهدى في اليهودية فقط .

(٦) وفي سورة آل عمران الايه التالية :

« ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنْه بدينارٍ لايؤدّهِ اليك الا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنّهم قالوا ليس علينْا في الأميّين سبيلٌ ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون . . »

٧٥

وينطوي في قولهم الذي حكته الاية شعور الترفع عن الغير وأعتبار انفسهم فوق الناس ، بما له صلة بفكرة أنهم شعب الله المختار ، فضلا عن ما احتواه من فتيا استحلال ما في ايدي الغير

بسبب هذه الفكرة التي يكذبون فيها على الله ، ويستغلونها أبشع استغلال .

(٧) وفي سورة آل عمران ايضاً الاية التالية :

« لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوْا ويحبّون ان يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذابٌ أليم .. »

١٨٨

وقد روي في صدد الاية ان النبي سأل اليهود عن امر فأجابوه اجابة غير صحيحة ثم أخذوا يزهون بعلمهم مع أن كذبهم لم يلبث أن افتضح فنزلت الاية تندد بهم وتتوعدهم . والموقف التبجحي واضح كما هو المتبادر .

(٨) وفي سورة النساء الايات التالية :

« ألم ترَ الى الذين يزكون أنفسَهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمونَ فتيلاً . أنظرْ كيف يفترون على الله الكذبَ وكفى به اثماً مبيناً .. »

٤٩ - ٥٠

وقد روي ان الآيتين نزلتا بمناسبة تبجح اليهود بان الله يكفر عنهم في النهار ما يقترفونه من ذنوب في الليل ويكفر

عنهم في الليل مايقترفونه في النهار . وعلى كل حال فالتبجح واضح في الآية وهو متصل بدعوى الحظوة عند الله .

(٩) وفي سورة المائدة الآية التالية :

« وقالت اليهود والنصارَى نحن أبناء الله وأحباؤه قلْ فلِمَ يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشرٌ ممن خلق يغفر لمنْ يشاء ويعذب مَن يشاء ولله ملكُ السماوات والارض ومابينهما واليه المصير .. »

١٨

وقدتضمنت حكاية تبجح صريح وعجيب ورداً عليه . والقسم الثاني من الآية يدل على أنه صادر في موقف حجاجي ، والقول متصل بدعوى الحظوة والشعب المختار ، وقد استهدفت الاية دحض هذه الدعوة كما استهدفت ذلك الايات الاخرى .



- ١٣ -

وثالثاً دسائس اليهود بين المسلمين

(١) في سورة البقرة الايات التالية :

« وآمنوا بما أنزلتُ مصدّقاً لما معكم ولاتكونوا أول كافرٍ به ولاتشتروا بآياتي ثمناً قليـلا واياي فاتقونِ . ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ..

٤١ – ٤٢

وقد تضمنت نهي اليهود عن كتم الحق والباسه بالباطل عن قصد وعلم ، وقد تضمن أسلوب النهي تقريعاً ايضاً . والمتبادر أن مانهوا عنه هو ما كان منهم بقصد الدس والصد والتشكيك بين المسلمين ، والايات من أبكر مانزل في المدينة ، ومعنى هذا أن اليهود بدأوا بدسهم بين المسلمين من وقت مبكر من الهجرة .

(٢) وفي نفس السورة الآيات التالية :

« أفتطمعونَ أن يؤمنوا لكم وقد كانَ فريقٌ منهم يسمعون كلام الله يحرفونَه من بعدِ ما عقلوه وهم يعلمون . واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون . »

٧٥ – ٧٦

والآيات تقرر من جهة فقدان الامل بارعواء اليهود وايمانهم بالنبي ، وتتضمن من جهـــة اخرى صورة من صور تدليسهم على المسلمين ونفاقهم وصورة اخرى لتآمرهم عليهم بالتواصي بأن لا يصدر منهم اي اعتراف بحقيقة قد يكون فيها متمسك او حجة عليهم .

(٣) وفي السورة نفسها الآيات التالية :

«يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذابٌ أليم . ما يود الذين كفروا من أهلِ الكتاب ولا المشركين أن ينزلَ عليكم من خيرٍ من ربكم والله يختص برحمتـــه مَن يشاء والله ذو الفضل العظيم .

١٤٠ – ١٤١

يضاف اليها الايات ١٠٥ ـ ١٠٩ التي نقلناها في مبحث القبلة ولهذه الايات مع الاية ١٠٤ صلة بالمبحث الذي نحن في صدده . اذ احتوت تحذيرات متنوعة للمسلمين من حسد اليهود ودسهم والجري على اساليبهم ، فاليهود كانوا يتخذون خطاب المسلمين للنبي بكلمة « راعنا » وسيلة لأذيته فيلوون ألسنتهم بالكلمة ليكون معناها وصف النبي بالرعونة سخرية منه فنهوا عن ذلك . وقد حذروا من تعجيز النبي بالاسئلة والمطالب تقليداً لليهود الذين عجز آباؤهم موسى بمثل ذلك ، مما يلهم أن اليهود قد نجحوا في دسهم وتشكيكهم بين المسلمين بعض الشيء حتى صار بعضهم يجادل ويسأل ويبدو منه بعض الشك ، وقد حذروا تحذيرين آخرين ، فاليهود لا يريدون أن ينالهم من ربهم أي خير ويودون ان يرتدوا عن دينهم كفاراً حسداً وغيظاً من اسلامهم والتفافهم حول النبي (ص) . وخلال كل هذا تبدو اصابع اليهود الدساسة واضحة بين المسلمين .

(٤) ويسلك في هذا السلك آيات القبلة ١٤٢ ـ ١٥٢ التي نقلناها في المبحث السابق ، حيث احتوت الاشارة الى مواقف

الدس والتشكيك اليهودية مما شرحناه في مناسبته تلك .

(٥) وفي السورة نفسها الايات التالية :

« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون . انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم . ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار . ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد .. »

١٧٢ - ١٧٦

والمقصود من الحملة في الايات الثلاث الاخيرة هم علماء اليهود على ماقاله جمهور المفسرين . وورود آية المحرمات مع الحملة عليهم يدل على انهم قد وقفوا موقف دس وتشكيك من المسلمين بشأنها ، كاذبين انها مما حرمته التوراة فاستحقوا هذا التقريع

والانذار . وقد نبهت الايات المسلمين الى الحق وأفهمتهم ان علماء اليهود انما يكتمون الحق الموجود في كتابهم والمتسق مع التقرير القرآني بقصد بث الشك فيهم .

(٦) وفي سورة آل عمران الايات التالية :

« ودّت طائفة من اهل الكتاب لوْ يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون . يا أهل الكتاب لِمَ تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون . وقالتْ طائفةٌ من اهل الكتاب آمِنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهارِ واكفروا آخرَه لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا الا لمن تبعَ دِينكم قلْ انّ الهدى هُدى الله أن يؤْتى احدٌ مِثلَ ما أوتيتم أويحاجّوكم عندَ ربكم قلْ ان الفضل بيد الله يؤْتيه مَن يشاء والله واسعٌ عليم . . »

٦٩ - ٧٣

والجمهورعلى ان اهل الكتاب هنا ايضاً هم اليهود . وفي الايات قرائن عدة على ذلك . ويبدو ان الايتين الاوليين تضمنتا تمهيداً تنديدياً لما حكته لايات التالية لها . اما الايات التالية

فقد تضمنت صورة دس وتشكيك بشعة جداً ، اذ تآمر اليهود فيما بينهم على التظاهر بتصديق القرآن والايمان به ، حتى اذا اطمأن المسلمون لهم أعلنوا شكوكهم وارتيابهم في بعض المسائل ، فأحدثوا بلبلاوريباً في المسلمين وثغرة في صفوفهم . وقد تواصوا كذلك فيما بينهم بعدم الاعتراف بحقيقة مواقفهم ومقاصدهم ومعارفهم الا بعضهم لبعض ، وبعدم الاطمئنان الا لمن دان بدينهم لئلا ينتفع بذلك غيرهم ويكون لهم عليهم الحجة او ينفذون اليهم من ثغرة ما .

٧ ـ وبعد قليل من هذه الايات جاءت الايات التالية :

« ان الذين يَشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاقَ لهم في الآخرةِ ولا يكلمهم الله ولا ينظرُ اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليم . وان منهم لفريقاً يلوُون ألسنتهم بالكتاب لتحسَبوه من الكتابِ وما هو من الكتابِ ويقولون هُو مِن عندِ الله وما هُوَ من عند الله ويقولون على اللهِ الكذبَ وهمْ يعلمون . . »

٧٨ ـ ٧٧

والجمهور على ان المقصود من الآية الثانية علماء اليهود ، وهي معطوفة على الاولى . وقـــد تضمنت الآيات صورة من صور التدليس على المسلمين بقصد التعالم وكسب الثقة وضمانة المنفعة الخاصة . ويبدو من الآية الأولى انهم كانوا يحلفون الأيمان على صحة مايقولون من الأكاذيب والافتراآت ليضمنوا تحصيل الأغراض الدنيوية التي يهدفون اليها . ومن المحتمل ان تكون الآيات متصلة بالمؤامرة التي حكتها الآيات السابقة ، وأن يكون فريق من علماء اليهود قد نفذوها ، واخذوا يقسمون الأيمان على صدق ما قرروه تحقيقاً لهدفهم وهو تشكيك المسلمين وردهم الى الكفر ، وتفريقهم عن النبي اوايجاد ثغرة في صفوفهم .

(٨) وفي سورة آل عمران الايات التالية :

« قل ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون . قلْ ياأهل الكتاب لِمَ تصدون عن سبيل الله من آمنَ تبغونها عوجاً وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون . ياأيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً منَ الذين أوتوا الكتابَ يردّوكم بعد ايمانكم كافرين . وكيف تكفرون وانتم تُتلى

عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هُدي الى صراطٍ مستقيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا حُفرةٍ من النارِ فأنقذكم منها كذلكَ يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون .. »

٩٨ - ١٠٣

والمقصود من اهل الكتاب في الايات هم اليهود ايضاً على ما قاله الجمهور وعلى ما احتوته القرائن فيها . ولقد روي ان الايات نزلت بسبب محاولة بعض اليهود اثارة الفتنة بين الأوس والخزرج مدفوعين بالغيظ من اجتماع شملهم والتفافهم حول النبي ، وعدم نجاحهم فيما حاولوه من دس وتشكيك . وقد احتوت الايات التالية تحذيراً للمسلمين من الاستماع الى وشاياتهم وامراً بالاعتصام بالله وعدم الفرقة وتذكيراً بما كان من نعمة الله عليهم في هدايتهم بعد الضلال وجمع شملهم بعد الفرقة ،

وتوطيد الاخوة بينهم بعد العداء ، ويبدو من صيغة الآيات وقوتها انه كاد يكون لدس اليهود عاقبة وخيمة لولا ان تدارك الله المسلمين بتثبيته وهدايته .

(٩) وبعد هذه الآيات جاءت الآيات التالية :

١ ـ ولتكن منكم أمةٌ يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدِ ماجاءهم البيّنات وأولئك لهم عذابٌ عظيم ..

١٠٤ ـ ١٠٥

٢ ـ كنتم خير امةٍ أخرجت للناسِ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون . لن يضروكم الا اذىً وان يقاتلوكم يولوكم الأدبارَ ثم لا ينصرون . ضربت عليهم الذلّة أين ماثقفوا الا بحبلٍ من الله وحبلٍ من الناس وباؤوا بغضبٍ من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم

كانو يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ...

١١٠ - ١١٢

والمتبادر ان الايات استمرار لسابقاتها في تحذير المسلمين وقد احتوت الاخيرة منها تهويناً لشأن اليهود وقوتهم ومدى أذاهم واشارة الى الطابع العام الدائم الذي دُمغوا به من الذلة والمسكنة وغضب الله بسبب كفرهم وتمردهم وبغيهم وسوء نياتهم . والتقريرات التي احتوتها متصلة بما كان من الدسائس اليهودية بين المسلمين ومنبهة لهؤلاء الى واجبهم من التضامن والامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقد ربطت بين مواقف اليهود المعاصرين ومواقف آبائهم فقررت أن الواقع الذي عليه المعاصرون متصل بما كان عليه أسلافهم جيلا بعد جيل . ويبدو من الآية (١١١) ان بعض المسلمين كانوا يخشون ماليهود من قوة مال وعدد وحصون وسلاح ، وأن هذه الخشية كانت منفذاً ينفذ اليهود منه اليهم في الدس والكيد مطمئنين الى عدم جرأة المسلمين على التنكيل بهم فاستهدفت هي والآية

التالية لها تهوين قوة اليهود وشأنهم ، ولفت نظر المسلمين الى واقع حالهم من الذلة والمسكنة والجبن . ويلمح من هذا بدء تطور ازاء بغاة اليهود الذين لم يتورعوا عن اي موقف من مواقف الأذى والكيد والدس واثارة الفتنة . ولعلّ التنكيل باليهود قد اخذ طريقه التنفيذي بعد ذلك .

١١ ـ وفي سورة آل عمران ايضاً الايات التالية :

« ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانةً من دونكم لايالونكم خبالاً ودّوا ماعنتّم قد بدت البغضاء من افواههم وماتخفى صدورهم اكبر قد بيّنا لكم الايات ان كنتم تعقلون . هاانتم اولاءِ تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلَوْا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليمٌ بذاتِ الصدور . ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لايضرّكم كيدهم شيئاً ان الله بما يعملون محيط .. »

٢١٧ - ١٢٠

---

(١) خبالا ـ فساداً وضعفاً . عنتم ـ وقع عليكم الشدة والعنت .

والجهود على ان الآيات بحق اليهود . وفي مضامينها قرائن على ذلك. ولقد تضمنت صورة قوية وبليغة لعداء اليهود الشديد ومكرهم ، ونية الشر والكيد والبغض ضد المسلمين ، والغيظ مما بلغ اليه امر المسلمين من القوة والتعالي . وقد حذرت المسلمين من اجل ذلك من موالاتهم وخلطهم بهم واطلاعهم على شؤونهم . وليس من شك في ان هذا قد كان بسبب المواقف المتنوعة والكثيرة العلنية والسرية ، والقولية والفعلية التي وقفها اليهود من النبي (ص) والمسلمين والدعوة الاسلامية . والآيات تلهم ما كان من قوة الروابط التي كانت تربط بعض العرب باليهود وقوة اثر هؤلاء فيهم ، مما يفسر حكمة تفصيل نيات اليهود وحقيقة امرهم ومواقفهم تجاه المسلمين للتأثير في الذين يميلون الى التمسك بولائهم لهم وحملهم على نفض اليد منهم .

ولقد جاء في سورة النساء نهي آخر فيه شيء من العتاب كما ترى في هذه الآية :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً . . »

١٤٤

وهذه الآية من سلسلة فيها حملة على المنافقين الذين يتولون الكافرين وهم اليهود في هذا المقام على ماتلهمه قرينة السياق . وقد استهدفت الآية ما استهدفته الآيات السابقة كما ان فيها نفس الدلالة التي ذكرناها آنفاً .

١١ - وفي سورة النساء الآيات التالية :

« ألم ترَ الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً . من الذين هادوا يحرفون الكلمَ عن مواضعه يقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقومَ ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا .. »

٤٤ - ٤٦

حيث تضمنت صورة للعداء والدسائس اليهودية من عدم تورع اليهود عن المكابرة ، والارتكاس في الضلال ومناقضة وصايا كتابهم وتعاليمه وتحريفهم له ، وتأويلهم اياه تأويلا باطلا بقصد اضلال المسلمين وتشكيكهم في دينهم وشق صفوفهم -

ويلاحظ هنا ان اليهود قد وصفوا بانهم اعداء المسلمين ، ولعل هذا الوصف يأتي لاول مرة في هذه الآيات . ومما لا ريب فيه ان هذا انما كان بسبب استمرارهم في المواقف الكيدية والمؤذية .

١٢ ـ وفي سورة المائدة الآيات التالية :

«يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لايعقلون . قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما أنزل من قبل وان اكثركم فاسقون . هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منه القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً واضل عن سواء السبيل . واذا جاؤوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون . وترى كثيراً منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون . لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس

ومضامين الآيات وخاصة الآيات (٦٠ و ٦٣) تدل على ان اليهود هم المقصودون . وفي الآيات تحذير للمسلمين من موالاة اليهود ، وتنبيه لهم على ان من مكرهم بهم ونقمتهم منهم اتخذوا دينهم وأذانهم هزواً ولعباً . وفي الآيات صورة اخرى لمكرهم ودسائسهم اذ كانوا يأتون الى المسلمين فيعلنون ايمانهم وهم كاذبون ، وانما يفعلون ذلك من قبيل التدليس والتضليل . ولعلهم كانوا يستهدفون بذلك كسب ثقة المسلمين وطمأنينتهم حتى يكون مكرهم ودسهم وتضليلهم أنفذ . والآيتان الاخيرتان وان كانتا متصلتين بأخلاقهم فانهما كذلك بسبيل بيان ما كانوا يقفونه من المسلمين ايضاً من عدوان واستحلال مال واذى ، والآية الاخيرة خاصة احتوت صورة لما كان موقف احبارهم وربانييهم من هذه المواقف العدوانية والمؤذية الماكرة حيث كانوا يشجعونهم عليها بسكوتهم وعدم تحذيرهم ونهيهم .

- ١٤ -

ورابعاً ـ تآمر اليهود مع المنافقين

(١) لعل اول آية ذكرت فيها صلات اليهود بالمنافقين هي آية البقرة هذه :

« واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون ..

— ١٤ —

والجمهور على ان « شياطينهم » تعني اليهود . والآية من سلسلة وصفية للمنافقين . ووصف اليهود بهذا الوصف ينطوي على أنهم هم الذين كانوا يوسوسون للمنافقين ويغوونهم . وذكر اختلاء المنافقين بهم يدل بصراحة على الاثر الكبير الذي كان لليهود في حركة النفاق والمنافقين وعلى التضامن الوثيق بين الفريقين تجاه الدعوة الاسلامية . ولقد احتوت سلسلة الآيات حملة قوية على المنافقين ، والمتبادر ان تواثقهم وتضامنهم مع اليهود

من الاسباب المباشرة لهذه الحملة ، وفيها تلقين مستمر المدى في حق كل من يتواثق مع اليهود من المسلمين بطبيعة الحال بسبب عدائهم الشديد الذي قرره القرآن عنهم للمسلمين تقريراً يفيد أنه غدا فيهم نحيزة راسخة . وتبكير الآية بالنزول يدل كما هو المتبادر على أن ذلك التواثق والتضامن بين اليهود والمنافقين ، وذلك النشاط الماكر الذي نشطه اليهود في صدد هذا التواثق والتضامن مع المنافقين قد كان منــــذ عهد مبكر من الهجرة النبوية . وقد ظل كذلك الى ان مكن الله نبيه من التنكيل بيهود المدينة في اواسط العهد المدني ، وكان ماكان من مواقف وحركات شـــديدة الاذى والكيد للنبي والمسلمين والدعوة الاسلامية .

(٢) في سورة النساء الآيات التالية :

« بشّر المنافقين بأنّ لهم عذاباً أليماً . الذين يتّخذون « الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عنـــدهم « العزّة فان العزة لله جميعاً ..

١٣٨ — ١٣٩

والجمهور على ان الكافرين في هذه الآيات هم اليهود . وفيها

قرينة على ذلك . وتولى المنافقين اليهود صورة من صور التآمر الموطد بين الفريقين كما هو المتبادر . والآيات في حق المنافقين مباشرة ، وقد انطوى فيها تقرير معنى ان توليهم اليهود مظهر من مظاهـــر نفاقهم الذي استحقوا به الوعيد . والسؤال الاستنكاري في الآية الثانية يدل على ان المنافقين كانوا يتولون اليهود قصد الاعتزاز بهم وهذا ما يزيد الصورة بشاعة والوعيد قوة . وواضح ان في الآيات تلقيناً مستمر المدى كذلك في حق كل من يتولى اليهود ويتواثق معهم .

٣ - في سورة محمد الآيات التالية :

« ان الذين ارتدّوا على أدبارهم من بعد ماتبيّن لهم الهُدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم . ذلك بأنّهم قالوا للذين كرهوا ما أنزّل الله سنُطيعكم في بعضِ الامرِ والله يعلم اسرارَهم . .

٢٥ - ٢٦

والجمهور على أن الاية الاولى عنت المنافقين وان الذين كرهوا ما انزل الله هم اليهود . وقد انطوى في الاية الثانية صورة من صور التآمر بين الفريقين ضد الاسلام والمسلمين . وفي ما حكته هذه الاية من وعد المنافقين لليهود بطاعتهم والسير على

الخطة التي يضعونها صورة لبعض ما كان لليهود من التوجيه والتأثير والنفوذ في المنافقين وحركاتهم . والتعليل الذي يبدأ في مطلع الاية الثانية يدل على اعتبار ما كانْ من وعد المنافقين لليهود بالطاعة سبباً من اسباب النفاق ، ومظهراً من مظاهر المنافقين ، وعلى ان الجملة التنديدية التي احتوتها الاية الاولى ضد المنافقين انما هي من اجل ذلك . وفي هذا كله تلقين مستمر المدى كما هو المتبادر .

٤ – في سورة المجادلة الاية التالية :

« ألمْ تَرَ الى الذين تولوْا قوماً غضِبَ الله عليهم ما هُمْ منكم « ولا منهم ويحلِفون على الكذِب وهم يعلمونَ ».

١٤

والجمهور على أن الاية في صدد تولي المنافقين لليهود . وفيها صورة من صور التآمر كما هو واضح . والاسلوب التنديدي ضد المنافقين في الاية يدل على ان توليهم اليهود المغضوب عليهم الذين ليسوا من المسلمين وليسوا من قبيلة المنافقين هو سبب التنديد بهم ومظهر من مظاهر نفاقهم . وتلقينها مستمر المدى بطبيعة الحال .

٥ – في سورة الحشر الآية التالية :

« ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا
« من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع
« فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون ..
١١

والذين كفروا من اهل الكتاب هم اليهود . وفي الآية صورة قوية للتضامن والتحالف الوثيقين بين اليهود والمنافقين كأثر من آثار التآمر الموطد بينهما . وأسلوب الآية التنديدي يدل على أن التنديد بالمنافقين إنما هو بسبب ذلك التضامن والتحالف وانه من اسباب النفاق ومظاهر المنافقين .

وتلقين الآية مستمر المدى كما هو المتبادر .



- ١٥ -

ولقد يرد في صدد الحملة على المنافقين لتواليهم اليهود أنه كان بين الأوس والخزرج وبين اليهود عهود ومواثيق ، وأن النبي قد أبقى عليها وجددها ، وأن تمسك فريق من العرب بها او اعتبار أنفسهم مقيدين بها مما لاغبار عليه لانه مما توجبه واجبات الوفاء .

وجواباً على هذا نقول أولا ان الفريق المندد بهم هم فريق المنافقين ومرضى القلوب فقط الذين وقفوا منذ بدء الهجرة من النبي ودعوته موقف الكيد والمكر والتآمر ، في حين أن تلك العهود والمواثيق قد كانت بين اليهود وسائر بطون الأوس والخزرج ، ومعنى هذا أن المسلمين المخلصين استجابوا لتحذير القرآن والنبي الذي كان معللا بمواقف كيد اليهود ومكرهم ودسهم وتآمرهم . واذا كان بعض المسلمين ترددوا أو تأخروا في نفض أيديهم من الولاء للحلف بينهم وبين

اليهود فان الذين جاهروا بالتمسك به بوقاحة واصرار وتمرد ولم يعبأوا بالتحذير والنهي هم المنافقون ومرضى القلوب فقط.

وهذا يدل بصراحة وقوة على أن الباعث لهم على هذا الموقف ليس الاخلاص للحلف، وانما ماجمع بين اليهود وبينهم من وحدة البغض والكيد للاسلام والنبي، وماتوطد بين الفريقين من توائق وتضامن وتآمر على النكاية بهما ووهم ضمانة المصلحة الخاصة والعزة من ذلك، ولايصح أن يعد من قبيل الوفاء بالعهود. ولذلك استحقوا التنديد والتقريع والوعيد واعتبر موقفهم أسباب دمغهم بالنفاق ومظاهره.

ونقول ثانياً ان تلك المواقف التي حكاها القرآن عن اليهود من شأنها أن تكون نقضاً من جانبهم لتلك العهود والمواثيق. ولقد اعتبرت كذلك بنص القرآن كما تلهمه الآيات التالية:

١ - أوكلّما عاهدوا عَهداً نبذه فريقٌ منهم بل أكثرهم لايؤمنون ...

البقرة - ١٠٠

٢ - انّ شرّ الدوابّ عندَ اللهِ الذين كفروا فهم لايؤمنون. الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لايتقون. الانفال ٥٥ - ٥٦

والآيات مما نزل مبكراً . وهـــذا يدل على أن تلك المراقف قد اعتبرت نقضاً منذوقت مبكر . وهي كذلك حقاً لان الدس والكيد واثارة الفتن بين المسلمين والتشكيك بالنبي والتآمر على الدعوة الاسلامية والتواثق مع مرضى القلوب ضدها وضـد النبي والطعن بالدين والهزؤ بالمسلمين وصلاتهم ونبيهم مخالف لما عاهدهم النبي عليـه حينما حل في المدينة . فدعوة القرآن الى عدم موالاتهم واتخاذهم بطانة واطاعتهم وتحذيره وأمره بنفض اليد من ولائهم أمر لايتمحل في صوابه والحق فيه الامكابر أو مغرض . ومثل هذا يقال في صـدد مايمكن أن يعتذر به المنافقون ، من الأعذار الزائفة الكاذبة التي كانوا يتسترون بها والتي فضح القرآن نياتهم فيها، فاستحكمت فيهم حجته وحملته .



- ١٦ -

وخامساً ـ تآمر اليهود مع المشركين .

ان الآيات الواردة في تآمر اليهود مع المشركين أقل مما ورد في تآمرهم مع المنافقين . وهذا طبيعي فيما يبدو . لان اليهود في المدينة ، والصلات بينهم وبين أهلها أوثق ، والشقة بعندة عن مكة التي كان زعماؤها قادة حركة العداء للنبي والدعوة الاسلامية المسلمين . ومع ذلك ففي الايات القليلة الواردة صور ذات خطورة كبيرة في الأثر والمدى .

(١) فمنها الايات التالية من سورة النساء :

« ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبتِ « والطاغوتِ ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من « الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعَنهم اللهُ ومَنْ يلعنِ اللهُ فلنْ تجدَ له نصيراً . ٥١ ـ ٥٢

ولقد روى في صدد الايتين روايات مفادها أن وفداً من زعماء اليهود ذهب الى مكة بعد واقعة أحد ليبحث في أمر النبي والمسلمين مع زعمائها ، ويعرض عليهم حلفاً للقضاء عليهم بعد الضربة التي نزلت بهم نتيجة لتلك الواقعة ، وأنه لما تم الاتفاق ذهب الوفد والزعماء الى فناء الكعبة وألصقوا اكبادهم بها ، وأقسموا عند الاصنام التي حولها على الوفاء في الحلف والجهد في تنفيذه ، ومما روى أن زعماء مكة استشهدوهم على من هو الافضل ديناً وسبيلا فشهدوا لهم انهم الاهدى والافضل ، وليس في الروايات ما لا يتسق مع الايات الا كون الايات اكثر صراحة اذ تذكر ايمان اليهود باصنام الكفار .

ولعل ابشع ما في الصورة بل أشنع ما كان من اليهود ان يدفعهم الحقد والحسد والعداء للنبي ودعوته الى عدم التورع في الشهادة الفاجرة بان الشرك خير من التوحيد وان المشركين اهدى من المسلمين ، ثم الى عدم التورع في اعلانهم ايمانهم باصنام المشركين وتكريمهم لها . وهكذا ينكرون اساس دينهم الذي هو الايمان بالله وحده في سبيل محاربة النبي الداعي الى ذلك ، والناهي عن الشرك والاثم والفواحش . وليس من

ريب في ان موقف هذا الفريق يدمغه بطابع من العـار لا يمكن ان يمحى .

ولقد كان من نتيجة رحلة الوفد اليهودي وعقـده الحلف مع زعماء مكة ان استنفر هؤلاء اهل مكة واحزابهم وحلفاءهم وأن زحفوا بجيوش جرارة على المدينة ، وهو ماعرف بوقعة الخندق او الاحزاب ، وان زلزل هذا الزحف اعصاب المسلمين وأدخل في قلوبهم الرعب ، وان كاد يعصف فعلا بالاســلام والمسلمين لولا ان تداركهم الله بنعمته وصرف عنهم الاحزاب. وقد وفى اليهود بالحلف فظاهروا الجيوش الزاحفة على المدينة مما زاد في حرج الموقف وشدة خطورته . وهذا وذاك مما اشارت اليه الآيات التالية في سورة الاحزاب :

١ ـ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروْها وكان الله بما تعملون بصيراً . اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفلَ منكم واذ زاغتْ الابصار وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ وتظنونَ بالله الظنونا . هنالك ابتليَ المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً . واذ يقول

المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ ما وعدَنا الله ورسوله الا غروراً . . .

٩ - ١٢

٢ - ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنون القتال وكان الله قوياً عزيزاً . وأنزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً . وأورثكم أرضهم وديارهم واموالهم وارضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيءٍ قديراً . . .

٢٥-٢٧

(٢) ومنها الآيات التالية في سورة المائدة :

« لُعِن الذين كفروا من بني اسرائيلَ على لسان داود وعيسى بنِ مريم ذلك بما عصوْا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهوْن عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولّوْن الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم انفسهم أن سخِطَ الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياءَ ولكن كثيراً

منهم فاسقون . لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . .

٧٨ - ٨٢

وقد ذكرت الآيات صراحة ان كثيراً منهم كانوا يتولون الكافرين ويتواثقون معهم في الوَلاء وحملت عليهم حملة شديدة من اجل ذلك لمناقضة موقفهم مع واجب دينهم ، وربطت في هذه المناسبة بينهم وبين اسلافهم الذين كانوا لا يتناهون عن المنكرات والذين استحقوا لعنة الله بعصيانهم وعدوانهم . ومما لاريب فيه ان موالاتهم للكفار انما كان بسائق البغضاء التي تجمع بين الفريقين نحو الاسلام والمسلمين ، وبقصد التآمر على تقويض اركانهم وهدم بنيانهم . واذا لوحظ ان الكفار كانوا في حالة حرب مستمرة مع المسلمين بدا لنا ان ذلك الولاء قد كان نوعاً من المظاهرة الحربية وكان بالنتيجة شديد الخُطورة بعيد المدى والاثر . ويبدو من الآية الاخيرة ان هذه المواقف منهم كانت مكشوفة ، وان آثارها كانت ملموسة ، اذ وصفت اليهود بأنهم أشد الناس عداوة للمسلمين ، وقرنتهم في هذه العداة الشديدة بالمشركين الذين كان منهم ما كان من شديد

الصد والاذى وكانوا في حالة حرب مستمرة مع المسلمين .

ويستلهم من الآية (٨١) ان من اليهود من كان يتظاهر كذباً بالايمان والتصديق بالنبي ، ففضحتهم وأقامت عليهم الحجة في موقفهم الذي لا يمكن ان يحدث لو كانوا صادقين في ايمانهم وهذه الصورة من المكر مما تكرر وروده في آيات عدة اوردناها سابقاً .



الفصل الثالث

وقائع التنكيل باليهود وبواعثها ونتائجها

- ١ -

ان اليهود لم يبقوا في نطاق جحود نبوة النبي والقرآن ، وفي نطاق المكايدات والمماحكات الكلامية ، بل تجاوزوه الى الغدر ونقض العهد والعداء الفعلي الصريح منذ عهد مبكر على ما ذكرناه في المبحث السابق . فكانت مواقفهم هذه سبباً مباشراً لدور التنكيل الذي بدأت فصوله في الربع الاول من العهد المدني ثم استمرت الى ان تم اجلاؤهم عن المدينة وخضد شوكتهم واجلاء بعضهم عن القرى الاخرى في ظرف الربعين الثاني والثالث منه .

ولقد تعددت فصول هذا الدور ، وكان لكل فصل اسبابه الخاصة كما كان موضوع كل فصل فريقاً دون آخر من اليهود . وهذا يدل على ان التنكيل انما كان يجري بقدار الضرورة وبقصد ازالة الضرر والخطر المحقق للفريق الذي حق عليه التنكيل فحسب ، كما يدل على ان اليهود لم يقدموا جميعهم على الخروج من نطاق الكلام الى العداء العملي والغدر في وقت واحد . ولعل من اسباب ذلك انهم لم يكونوا مجموعي الشمل في سلك سياسي وحربي واحد ومتوائق ، بل كانوا كتلا مستقلة ، كل كتلة اوقبيلة لحدتها وتسكن في محلة خاصة بها وكان بينهم خصومات ايضاً بدليل انهم كانوا متوزعين في التحالف والولاء بين قبيلتي الأوس والخزرج اللتين كانت بينهما خصومات كذلك على ما ذكرناه في مناسبة سابقة . ونحن نعرف ان بعض الكتاب من يهود ومبشرين ومستشرقين رأوا في فصول التنكيل باليهود ما جعلهم يزعمون ان النبي قد بيّت نية التنكيل بهم واثارة حرب عنصرية دينية ضدهم منذ البدء ، وانه اذا لم ينفذ نيته فيهم مرة واحدة فلأنه لم يكن له قبل بهم جميعاً .

وقدغمزوه بالنكث بما عاهدهم عليه من الحرية الدينية والاقتصادية والاجتماعية ، وبالميل الى سفك الدم ، وبالطمع في اموالهم واغداقها على المسلمين ، مما صدر منهم بسائق الغرض والتعصب وعدم التروي في فهم آيات القرآن التي احتوت ما فيه الحجة القاطعة والبينة الحاسمة على زيف مازعموا وسفه ما غمزوا .

فالقرآن قد ذكر في آيات البقرة ٨٤-٨٥ ما كانوا يقعون فيه من مخالفات دينية في قتل بعضهم بعضاً وأسر بعضهم بعضاً في معرض الذم والتنديد مما يدل على ما كان بينهم من خصومات وعلى عدم تكتلهم . فلم يبق أي محل للارتياب في ان ظروفهم الاجتماعية المتقدمة على البعثة هي العامل في عدم تكتلهم ، مما يسوغ الترجيح ان لم نقل الجزم بصحة ما قلناه من أنهم لم يخرجوا جميعهم في وقت واحد الى نطاق الغدر والعداء العملي ، ومن ان التنكيل انما كان يقع في نطاق ازالة خطر الفريق المبادر الى الخروج من ذلك النطاق . ولقد احتوت الايات

القرآنية في مختلف ادوار التنزيل المدني حكاية مواقف متنوعة وكثيرة لليهود فيها تعجيز وتحد ومكابرة وجدل وسخرية بل ودسائس ومؤامرات في صدد الجحود بالنبوة ، وتعطيل الدعوة ، وتشكيك المسلمين فيها ، كما احتوت مساجلات متنوعة معهم في الجدل حيناً والتنديد حيناً والافحام حيناً ، والوعظ والتذكير والانذار والتبشير حينـــاً ، والدعوة الى تخفيف الغـلـواء والتوبة حيناً ، وبكلمة اخرى لقد اتسع صدر النبي (ص) لهم سعةً كبيرة وتمتعوا بحريتهم في التمسك بدينهم ومباشرة شؤونهم الاقتصادية ، والاستمرار في محالفاتهم واتصالاتهم السياسية والشخصيـة ، والاحتفاظ بكيانهم الطائفي والثقافي والقضائي دون انتقال من طور المساجلة الى طور التنكيل ، ولم ينتقل الى هـــذا الطور مع أي فريق منهم الا بعـــد ان يطفح الكيل من دسائسه ومكائده وأذاه ، وبعد ان يكون قد انتقل هذا الفريق الى موقف النكث بالعهد والاذى والغـــدر

والتآمر والاضرار بكيان المسلمين ، مما تلهمه او تدل عليه الآيات والفصول التي مرت سابقاً ، والتي سترد بعد عند الكلام على كل واقعة من وقائع التنكيل ايضاً .

واليك الآن تفصيل الوقائع .



- ٢ -

اولا : اجلاء بني قينقاع

ليس في القرآن ذكر صريح لهؤلاء ولا لواقعة اجلائهم ، وكل مافيه اشارات اوضحتها الروايات . ولقد ذكرت الروايات التي ليس بينها خلاف جوهري ان هذه الواقعة كانت اولى وقائع التنكيل باليهود ، وانها كانت بين واقعتي بدر وأحد . ومما ذكره ابن هشام ان يهود بني قينقاع كانوا يسكنون المدينة ولهم سوق خاص ، وانهم أول يهود نقضوا مابينهم وبين رسول الله ، وان بدء واقعتهم كان ان امرأة من العرب جاءت بجَلَب لها فباعته في سوقهم ، وجلست الى صائغ منهم ، فجعل بعضهم يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده بظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين فقتل الصائغ فشد اليهود

على المسلم فقتلوه فاستصرخ اهله المسلمين فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع ، وانتهى الامر الى ان حاصرهم النبي حتى نزلوا على حكمه . ومما جاء في طبقات ابن سعد ان النبي أجلاهم الى اذرعات وسمح لهم بأخذ اموالهم واثقالهم وخفيف سلاحهم . ومما ورد في ابن سعد وابن هشام معاً ان النبي (ص) استشعر من بني قينقاع الغيظ بما كان من نصر لمسلمين في بدر ، ولعلهم أخذوا يكشفون عن غيظهم ويغمزون المسلمين فجمعهم وحذرهم فكان جوابهم وقحاً اذ قالوا له لايغرنك مانلت ، فانك لقيت قوماً لاعلم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، وانا والله لئن حاربناك لتعلمن انانحن الناس ، وان آيات آل عمران هذه :

« قل للذين كفروا ستُغلبون وتُحشرون الى جهنم وبئس المهاد . قدكان لكم آيةٌ في فئتين التقتا فئةٌ تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرةٌ يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرةً لأولي الابصار . . »

١٢ــ١٣

انما نزلت فيهم . وظروف نزول الآيات تجعل القول سائغاً لأنها نزلت بعد واقعة بدر ، واحتوت اشارة اليها على سبيل

الانذار ، ولا سبيل للتوهم بأن ذلك كان لكفار مكة ، فالتحذير انما يكون لأناس مايزال بينهم وبين النبي (ص) صلات سلم في حين كان كفار مكة في حالة حرب مع المسلمين .

واذا كان ثمة شيء يلاحظ على ما رواه ابن سعد وابن هشام في صدد نزول الايتين فهو ان الآيتين ابعد مدى مما رويا ، وانهما لتلهمان أنه قد بدا من اليهود ما يصح ان يعد نقضاً او تحرشاً بحرب وقتال ، فأمر النبي (ص) بانذارهم ودعوتهم الى الاعتبار بما حل بكفار مكة في بدر .

ولقد احتوت آية من آيات البقرة اشارة صريحة الى نبذ فريق من اليهود العهد كما ترى فيها :

« أوَ كلما عاهدوا عهداً نَبَذه فريقٌ منهم بل أكثرهم لايؤمنون .. »

١٠٠

وهذه الاية من السلسلة الطويلة في حق اليهود التي نقلناها في المبحث الاول وهي مما نزل مبكراً ، فيسوغ القول ان

الاشارة التي تضمنتها هي الى أول نقض بـــدا من فريق من اليهود ، وهو على الارجح نقض بني قينقـاع الذين كانوا أول من وقع عليهم التنكيل بسببه

وفي سورة الانفال آيات فيها اشارة اخرى الى نقض يهودي وهي هـذه :

« ان شرّ الدوابّ عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لايتقون . فاما تثقفنّهم في الحربِ فشـــرّدْ بهم مَن خلفَهم لعلهم يتذكرون . واما تخافن من قومٍ خيانةً فانبذْ اليهم على سواء ان الله لايحب الخائنين .. »

٥٥ - ٥٨

وسورة الانفال نزلت عقب واقعة بدر . ولقد روى ابن سعد انه لما كانت وقعة بدر أظهر بنو قينقاع البغي والحسد ونبذوا العهد وكانوا اشجع اليهود ، فأنزل الله « واما تخافن من قوم خيانة ... الى آخر الاية » فقال رسول الله انا اخاف بني قينقاع فسار اليهم بهذه الاية . والاية انما نزلت مع ما سبقها ولحقها من آيات فيكون سير النبي (ص) اليهم بسبب نقضهم العهد

المرة بعد المرة ، وتكون الرواية متسقة مع ظروف واقعتهم ، مع التنبيه على ان الاية أبعد مدى من الرواية ايضاً في ذكرها نقض اليهود العهد مرة بعد مره ، ولعل حادث المرأة كان السبب المباشر الذي طفح به كأس اذاهم ونقضهم و كيدهم .

وتعبير « فانبذ اليهم على سواء » يعني الامر باعلانهم انه يقف منهم نفس الموقف الذي وقفوه وهو حل العهد القائم ، وفي التعبير مغزى رائع وهو تلقين عدم المبادرة الى القتال بدون اعلان مادام هناك عهد قائم . كذلك تعبير « فشرّد بهم مَن خلفهم لعلهم يتذكرون » جدير بلفت النظر اليه اذ انطوى فيه تلقين تخويف اليهود الاخرين بما يحل ببني قينقاع ، لعل ذلك يجدى ويتفادى به القتال معهم . وفي هذا رد على المزاعم المغرضة التي اشرنا اليه في مطلع الفصل .

على ان في الايات التي وردت بعد رداً اقوى ويحتوي كذلك نفس التلقين بل يحتوي الامر بالجنوح مع اليهود الى السلم كل مابدر منهم جنوح اليها كما ترى فيها :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رِباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم

وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لاتظلمون . وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل عـلى الله انه هو السميـع العليم . . »

٦٠ – ٦١

واذا نحن ذكرنا اليهود بصدد هده الايات فان ذلك بسبب اتصالها الموضوعي والزمني بحادثتهم . ومما لا ريب فيه ان ما احتوته من امر وحث وتلقين شامل مستمر المدى شأن كثير من الاحكام القرآنية التي نزلت في مناسبة موضوعية وزمنية .



- ٣ -

وثانياً اجلاء بني النضير

وهذه الواقعة ليس لها ذكر صريح في القرآن كتابك . الا ان فيه بياناً أوفى عنها في سورة الحشر التي كان ابن عباس يسميها سورة بني النضير على ماورد في كتاب التفسير المنسوب اليه . وهذه الايات الواردة فيها :

١ - هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ماظننتم ان يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا ياأولي الابصار . ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب النار . ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فأن الله شديد العقاب . ماقطعتم من لينة

اوتركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين . وما افاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير . ماأفاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لايكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب ..

٢ - ٧

٢ - الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احداً ابداً وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون . لئن اخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون . لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لايفقهون . لايقاتلونكم جميعاً الا في قرى محصنة او من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لايعقلون . كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم . كمثل الشيطان اذ قال

للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين . .   11 – 17

والمجموعة الاولى جاءت في صدد تذكير المسلمين بنعمة الله عليهم ونصره رسوله في هذه الواقعة دون اشتراك عملي حربي منهم ، وجعل ذلك مبرراً لتشريع ايلولة ما عاد منها من الغنائم فيئاً على المصارف المذكورة دون الاغنياء لا على اساس قسمة الغنائم على المسلمين الذين يشتركون في الحرب سواء كانوا او فقراء . ومع ذلك ففيها بعض الصور عن الواقعة ، اذ يستفاد منها :

١ ـ انه كان لبني النضير حصون قوية لم يكن المسلمون يأملون التغلب عليها كما كان اليهود يحسبون انها مانعتهم .

٢ ـ ان اليهود قد وقع في قلوبهم خوف شديد ويأس بحيث استسلموا من جهة وخربوا بيوتهم بايديهم من جهة اخرى

٣ ـ ان النبي (ص) قد اجلاهم ووضع يده على مزارعهم واملاكهم .

٤ ـ انه لم يقع اشتباك حربي بينهم وبين المسلمين ، اي ان حصارهم كان كافياً للنصر الذي تم .

٥ ـ انه كان منهم مواقف كيد ومشاقة مزعجة وانها هي السبب في التنكيل بهم .

٦ ـ ان النبي (ص) امر بقطع بعض نخيلهم لارغامهم على التسليم وخزيهم باذن الله وبالهامه .

اما المجموعة الثانية فقد تضمنت صوراً لما كان من المنافقين في هذا الموقف . اذ وعدوا اليهود بالتضامن معهم تضامناً وثيقاً حتى اكدوا لهم بانهم سيحاربون معهم اذا حوربوا وسيخرجون معهم اذا غلبوا واخرجوا ، ولكنهم كذبوا بما وعدوا . وقد وصفت الآيات مبلغ خوف اليهود او المنافقين او كليهما من المسلمين ، وعدم جرأتهم على مواجهتهم في الميدان وقررت ان كل امرهم القتال من وراء الحصون والجدران كما قررت واقع حالتهم الداخلية والنفسية من عدم التضامن الصادق وشدة التنازع والتشاد في بينهم ، وتفرقهم شيعاً رغم ما يبدو من اتحادهم . وشبهت المنافقين بالشيطان الذي يغوى

المرء بالكفر ثم لايلبث ان يتبرأ منهم . والايات تحكي ما كان من امر قبل استسلام اليهود كما هو واضح ، وفيها تعليل لما كان من ذلك . ويرجح ان الاية (١٥) تضمنت الاشارة الى ما كان من التنكيل ببني قينقاع والتنديد ببني النضير الذين لم يعتبروا بهم حتى ذاقوا وبال امرهم مثلهم .

والروايات الواردة تكمل هذه الصورة اذ يستفاد منها ان الواقعة كانت بعد واقعة أحد وقبل واقعة الخندق ، وان سببها المباشر هو ان النبي (ص) ذهب مع بعض اصحابه الى محلة بني النضير يستعينهم على دية بعض القتلى فتآمروا على اغتياله وشعر هو بذلك فنجا بنفسه ثم ارسل اليهم في اليوم التالي انذاراً بالجلاء على ان يأخذوا اموالهم ويقيموا وكلاء على بساتينهم ومزارعهم ، وقد ارسل المنافقون من حلفائهم يحرضونهم على الرفض ويعدونهم النصر فتشجعوا وعصوا فحاصرهم النبي (ص) وضيق عليهم الخناق وأمر بقطع نخيلهم ارغاماً وارهاباً ، ولم يف المنافقون بما وعدوا فاستولى عليهم الرعب واليأس ، ورضوا بالجلاء بشروط أشد من الاولى

بسبب تمردهم وهي اخذ منقولاتهم فحسب وتسليم سلاحهم والتنازل عن بساتينهم ومزارعهم .

والروايات منسجمة مع ما احتوته الآيات من صور . وان كان ثمة شيء يزاد فهو المدى الواسع الذي انطوى في الآية الرابعة اذ يصح ان يقال ان محاولة بني النضير اغتيال النبي (ص) انما كانت سبباً مباشراً ، وانه كان منهم قبل ذلك مواقف مؤذية ومزعجة كثيرة امتلأ بها الكيل وحق عليهم من اجلها التنكيل .

ولقد كان قبل هذا الحادث ان امر النبي (ص) بقتل احد شعرائهم وزعمائهم وطواغيتهم كعب بن الأشرف لما كان منه من هجو فاحش وكيد شديد للنبي والمسلمين كما جاء في كتب السيرة ، ولقد روي فيما روي ان كعباً ورهطاً من بني النضير اتصلوا بكفار قريش اتصال تآمر وكيد ضد النبي والمسلمين على رغم ما كان بينهم وبين بني النضير من عهد وسلام . وهذا وذاك مما يتسق مع مدى الآية ويدعم ما قلناه آنفاً .

- ٤ -

وثالثاً القضاء على بني قريظة

واسم هؤلاء ايضاً لم يرد في القرآن بصراحة وانما أشير الى موقفهم وواقعتهم اشارة اتفق عليها جمهور المفسرين والرواة على أنهم المقصودون بها وذلك في آيات الاحزاب ٢٦ — ٢٧ التي نقلناها في مبحث تآمر اليهود مع المشركين قبل قليل والتي هي من سلسلة احتوت بعض مشاهد واحداث واقعة الخندق او الاحزاب . وهي صريحة الدلالة بأن اليهود ظاهروا الكفار الغزاة جهرة على المسلمين فاستحقوا التنكيل الشديد الذي نالهم .

ولقد نقلنا في مناسبة قريبة كذلك آيات الاحزاب ٩ ـ ١٢ التي احتوت وصفاً للحالة الخطيرة التي واجهها المسلمون من زحف جيش احزاب الكفار الجرار على المدينة واحدقه

بها ، وما كان من جرأة المنافقين على المجاهرة بتكذيب وعدالله ورسوله بهذه الوسيلة تتمة لمواقف المنافقين الجريء المثبط لذي يكاد ينم عن مؤامرة خفية محبوكة الاطراف بين اليهود والمنافقين واحزاب الكفار للقضاء على الكيان الاسلامي قضاء ساحقاً كما ترى فيها :

« واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مُقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعورة ان يريدون الا فراراً . ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبثوا بها الا يسيراً. ولقد كانوا عاهدوا الله من قبلُ لايولون الادبار وكان عهد الله مسئولا . قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذاً لاتمتعون الاقليلا . قل من ذالذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءاً او أراد بكم رحمة ولايجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً . قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا . أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يُغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف

سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً . يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسألون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الا قليلا . »

١٣ - ٢٠

مما يجعل التنكيل عملا لامعدى عنه على ان يكون متناسباً مع شدة الخطر الذي أحدق بالمسلمين . واذا لاحظنا انمظاهرة اليهود للغزاة كانت نتيجة للحلف الذي ذهب وفد اليهود الى مكة لعقده بقصد القضاء الجازم على النبي والمسلمين اغتناماً لفرصة ماحل بهم من ضعف بعد واقعة أحد على ماذكرناه في في مبحث تآمر اليهود مع المشركين بدت شدة خطورة الموقف اليهودي وخطره واضحة ، وظهر الحق في صحة تبرير التنكيل الواقع ، وسفه المغرضين في غمز النبي (ص) به لانه جاء قاسياً لا هوادة فيه .

هذا وفي الروايات الواردة في كتب السيرة والتفسير مايكمل الصورة ويتسق مع الآيات اتساقاً غير يسير . اذ يستفاد منها :

١ ـ ان وفداً من زعماء اليهود ذهب الى مكة بعد واقعة النضير فحرضوا زعماءها على غزو المدينة واستئصال شأفة النبي (ص) والمسلمين قبل ان يتفاقم امرهم ، واعلنوا تضامنهم معهم وأقسموا على ذلك عند الاصنام في فناء الكعبة وهو ماتضمنت آية النساء ٥١ التي نقلناها قبل الاشارة اليه .

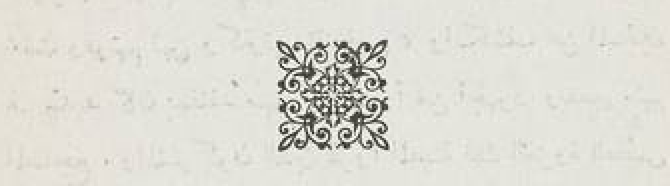
٢ ـ ان الوفد ذهب كذلك الى قبائل غطفان وقيس وغيلان وحرضها ومناها بخيرات المدينة وأخبرها بما تم الاتفاق عليه مع زعماء مكة وتحالف معها كذلك .

٣ ـ ان النبي (ص) قد بلغه تغير نية بني قريظة وتبيتهم الغدر حال وصول جيش الاحزاب فأرسل زعيمي الأوس والخزرج الى محلتهم وكانت وراء بيوت عرب المدينة لينظر أحقّ مابلغه عنهم ، وطلب منهما أن لايجهرا به ان كان حقاً لئــلا يفت في اعضاد الناس ، وانهما آتياهم فوجداهم على أخبث مابلغهم ونالوا من رسول الله وقالوا من هو رسول الله ، وأنكروا العهد الذي بينهم وبينه ، وان سعداً بن معاذ شاتمهم وكان حليفهم فشاتموه ، وان سعداً بن عبادة قال له دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة .

٤ ـ ان النبي (ص) أمر مؤذنا فأذن في الناس صبيحة اليوم الذي ارتد فيه الاحزاب بناء على وحي الله أن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر الا في بني قريظة ، وان النبي (ص) حاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم النبي (ص) وأن جماعة من الأوس تشفعوا فيهم عند النبي (ص) لانهم حلفاؤهم وطلبوا الاكتفاء باجلائهم كما فعل بمن سبقهم ، فجعل النبي (ص) الحكم في أمرهم لزعيم الأوس سعد بن معاذ ، وان هذا حكم بقتل الرجال وسبي النساء والاطفال واستصفاء الاموال والاملاك قائلا لمن طلب الرفق بهم من جماعته : آن لسعد ان لا تأخذه فى الله لومة لائم فأمر النبي (ص) بعرض الاسلام عليهم ونفذ الحكم في من أبى ولم يسلم الا افراد قلائل .

وننبه الى أن عبارة « ظاهروهم » تلهم انه بدا من اليهود في اثناء حصار الاحزاب اعمال مؤذية للمسلمين او بالاحرى اعمال فت الى الحرب تضرر المسلمون منها وأثارت في نفوسهم السخط فوق ما أثاره موقف الغدر والخيانة فيهم من خوف وزاد من

شدة الخطر على ما أشرنا اليه قبل . وليس من ريب في ان التنكيل الشديد يمت بسبب وثيق الى هذه الظروف كلها ، ولاسيما ان هذا قد كان منهم دون ان يعتبروا بما كان من اجلاء بني قينقاع وبني النضير أولا ، وبسعي وجد في ايقاد نار الحرب بغية القضاء المبرم على المسلمين ثانياً . فلا غرو ان كان عقابهم اشد صرامة من عقاب من سبقهم لان جريمتهم اشد اثراً وأبعد مدى في النكاية والخطورة .



- ٥ -

وبالتنكيل ببني قريظة تم القضاء على يهود المدينة الذين كانوا هم الاشد والاقوي والاغنى والابعد نكاية وأذى وكيداً ، ولم يبق في المدينة من اليهود الا افراد قلائل كانوا مسالمين فتركت لهم حرية الاقامة والدين . ولقد كان هذا فاتحة عهد جـديد للاسلام والدعوة الاسلامية . فالمنافقون الذين فقدوا محركهم القوي ومدبرهم الالمعي لم يلبثوا ان أخذ شأنهم يضؤل وصوتهم يخفت وقوتهم تهن وكثرتهم تتناقص ، وانكشف عن المسلمين غم شديد كان يستنفد منهم كثـيراً من الجهود ويقض منهم المضاجع ، والمشركون الذين غزوا المدينة تلك الغزوة العظمى التي زلزلت المسلمين والتي انطوى تحت لوائها نحو عشرة آلاف بتحريكهم وتآمرهم لم يعودوا يفكرون بغزو المدينة وقتـال المسلمين ، حتى أن هذا قد شجع النـبي (ص) فاعتزم زيارة

الكعبة العام التالي ونتج عن الرحلة ان اعترف زعماء قريش به نداً وعقدوا معه صلحاً وهو صلح الحديبية ، والقبائل الكثيرة التي كانت تقف موقف المتربص تبدل موقفها وأخذت تتقرب الى النبي (ص) بالتعاهد أو الدخول في الاسلام ، بل أخذ يفد وافدون على النبي (ص) من وراء مكة ويدخلون في الاسلام ولم يمر سنوات ثلاث حتى استطاع النبي (ص) ان يجمع جيشاً قوامه عشرة آلاف من اهل المدينة والبادية ويغزو به مكة ويفتحها فينهدم السور الكثيف الذي كانت تقيمه مكة بين الاسلام وسائر العرب ، وتفد عشرات الوفود الى المدينة من مختلف انحاء الجزيرة ، ويدخل الناس في دين الله افواجاً .

ويهود المدينة وان كانوا هم الاكثر والاقوى ، وكان القضاء عليهم قضاء على القوة اليهودية الكبرى فانه كان هناك جاليات يهودية عديدة تسكن عدة قرى في الحجاز مما يلي الشام مثل خيبر ووادي القرى وفدك وتيماء ، وقد أهملها النبي (ص) مدة ما على ما كان نيات السوء وموقف الجاحد المتربص

والمتآمر مع يهود المدينة لانها لم تكن من قوة الشأن ما تثير خوفاً وخطراً عاجلين بعد سحق رأس الافعى في المدينة ولكنه لم يكد يعقد صلح الحديبية مع قريش حتى بادر الى تصفية امرها وخضد شوكتها ، وقد رأينا اتماماً للبحث ايراد نبذة في صدد ذلك .



-٦-

وننبه على ان وقائع هذه القرى لم تذكر ايضاً في القرآن بصراحة ، بل لم يرد عنها بيان شاف بعض الشفاء ، وانما أشير اليها اشارات خاطفة فسرتها الروايات . فمن هذه الاشارات آيات في سوره الفتح وهي هذه :

١ - سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لايفقهون الا قليلا ..

١٥

٢ - لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريبا . ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيما . وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس

عنكم ولتكون آية للمؤمنـــين ويهديكم صراطاً مستقيماً .
وأخرى لم تقدروا عليهـا قد احاط الله بها وكان الله على
كل شيء قديراً ..

١٨ - ٢١

اذ قال جمهور المفسرين والرواة ان هذه المغانم هي مغانم
خيبر والقرى اليهودية الاخرى . وقد ذكرت الروايات ان
النبي (ص) لم يستصحب احداً معه الى خيبر ممن تخلف عن صحبته
في رحلة زيارة الكعبة التي انتهت الى صلح الحديبية بناء على
الاية (١٥) التي نزلت في اثناء هذه الرحلة مع فصول سورة
الفتح الاخرى . وقد ســـار النبي (ص) الى خيبر بعد عودته
من الرحلة بقليل . وصيغة الايات وحكاية قول المتخلفـين تدل
على ان النصر في رحلة خيبر مما لم يكن يتحمل ريباً ، كما أنهـا
تلهم أن النبي قد بيت القيام بهذه الرحلة عقب ابرام صلح الحديبية
وأنه بشر المسلمين الذين معه بها .

ويستفاد من الروايات أن النبي (ص) سار بالمسلمين الى خيبر
بعد صلح الحديبية بنحو شهرين ، وأنه كان فيها حصون كثيرة

وقوية استغرق فتحها نحو شهر ونيفاً ، وان اليهود قاوموا مقاومة عنيفة ، وكان بعض الجهد والمشقة على المسلمين في الرحلة وأنه لما تم الفتح صارت جميع المزارع والاموال الى المسلمين غنيمة ، وان النبي (ص) أبقى من اراد من اليهود يتولى رعاية البساتين مقابل نصف الغلة بعد تجريدهم من السلاح وأجلى الخطرين منهم ، وانه انصرف بعد خيبر الى وادي القرى ، وكان فيها كذلك حصون عدة ، وقاوم اليهود فيها بعض المقاومة ، غير أن امرهم صار الى ماصار اليه امر خيبر ، وانه قد دب الرعب في قلوب يهود فدك وتيماء فأرسلوا رسلهم الى النبي (ص) يصالحونه على نصف أملاكهم ، ويعاهدونه على المسالمة .

وليس في القرآن اشارة الى سبب مباشر او غير مباشر لغزوة خيبر ، كما انه لم يرد في الروايات ذكر صريح لمثل هذا السبب . وهذا ما جعل بعض المستشرقين يقول انها لم تكن الا رغبة من النبي (ص) في مكافأة اهل الحديبية وتطييب نفوسهم .

على ان الروايات قد ذكرت ان قبائل غطفان التي لم تكن

أسلمت بعد ولم تكن مسالمة للمسلمين والتي ظاهرت قريشاً في زحف الاحزاب كانت حليفة ليهود خيبر ، كما ذكرت انه كان بين يهود خيبر وبين من بقي من اليهود في المدينة صـــلات ، وأن هؤلاء كانوا عيوناً لأولئك ، وانهم حـاولوا تعطيل غزوة خيبر بالاشاعات المتنوعة من جهة وبمطالبة مديني المسلمين بالديون التي لهم عليهم من جهة اخرى ، ـ وهـذا مظهر خطير المغزي ومألوف من اليهود مهما كانوا قليلي العدد مخضودي الشوكة ـ وأن يهود خيبر كانوا يترصدون حركات النبي (ص) والمسلمين ترصد الخائف القلق ، ومما ذكرته الروايات ايضاً وفيـه شيء من الخطورة أن حيياً بن أخطب زعيم اليهود بل وملكهم عـــلى مانعتته روايات العرب وهو أبو صفية احدى زوجات النبي (ص) من سبي خيبر كان على رأس الوفد الذي ذهب الى مكة لعقد الحلف مع زعمائها ، وانه هو الذي أغرى كعباً بن اسد زعيم بني قريظة على نقض العهد مع المسلمين ، وقلب المجن لهم حينما جاءت الاحزاب تغزو المدينة . ففي كل هـــذا ! ما يمكن ان يستأنس به على انه كان هناك اسباب مبررة لهـذه الغزوه ،

ان كل واقعة من وقائع التنكيل كان لها اسباب مباشرة وغير مباشرة كما رأينا . وان تلقينات القرآن التي لا يمكن ان يماري احد فيه انصاف ومنطق سليم ان النبي (ص) كان يسير وفقها بكل دقة لم تكن بالمبادرة الى قتال الا للمقابلة او الدفاع او بسبب الغدر والخيانة . ولسنا نشك في ان هذه الاسباب كانت قائمة قبل رحلة النبي (ص) الى زيارة الكعبة التي انتهت بعقد الصلح ، وان النبي (ص) كان يرى ان ليس هناك خطر عاجل من تأخير تصفيتهم بعد ان نكل بيهود المدينة الى فرصة اكثر ملاءمة ، ولما أبرم الصلح مع مكة وأمن الوقوع بين نارين رأى أن الفرصة المنشودة قد سنحت فقام بالغزوة لاتمام خضد شوكة اليهود في الحجاز وتصفيتهم وأمن جانبهم نهائياً . ولقد تساهل النبي (ص) في معاملة يهود هذه القرى وهذا يدل على ان الهدف الذي رمى اليه هو خضد شوكتهم وأمن جانبهم فحسب ، وواضح ان هذا يظل في نطاق الضرورة وازالة الضرر كما قررناه في مطلع الفصل .

على ان النبي (ص) قد وصى فيما وصاه على مارواه ابو عبيدة

باخراج يهود الحجاز منها فنفذ عمر بن الخطاب (رضي) في خلافته الوصية على ما ذكرته الروايات ، فكان في ذلك تمام تطهير الحجاز من هذه الارومة الفاسدة في جبلتها الخلقية ، والتي كان منها ما كان من اذى ومكر وبغي وعدوان على المسلمين .

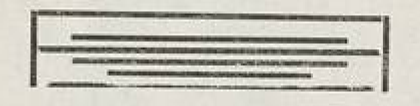
كلمة الختام

- ٧ -

وبعد فقد ابتلي العرب والمسلمون في هذا العصر باليهود في بلادهم ، ومع أنهم عاملوهم احسن معاملة واكرمها ، وآووهم وحموهم ومنحوهم الحرية في دينهم ومعابدهم وطقوسهم وتجارتهم ومعايشهم ، بل وصافوهم وتواثقوا معهم وحفظوا لهم العهود شأن ما كان من النبي (ص) والمسلمين نحو أسلافهم في الحجاز ، في حين انهم أوذوا أشد الاذى وحرموا اشد الحرمان وسيموا أشد الخسف في البلاد الاخرى ، فقد قابلوا العرب والمسلمين بالكفر والجحود والشر والمكر والكيد والبغي كما فعل اسلافهم من قبل استمراراً في تلك الجبلة الخلقية الفاسدة ، والنحيزة الشريرة الآثمة ، وكان منهم ما كان

في فلسطين من مواقف غادرة باغية لم يرعوا فيها حقاً ولا ذمة ولا شرفاً ولا مروءة بما لا تزال ماثلة للعيان ترتعد لها الفرائص وتقشعر لهولها الجلود ، وبدا منهم ما بدا من المطامع الرهيبة والنيات الخبيثة نحو جميع العرب وبلادهم ، وساندهم في مواقفهم هذه اخوانهم في جميع البلاد الاخرى ، وألبوا على العرب جمهرة الدول الافرنجية بمختلف وسائل المكر والدهاء والدعاية فصدق تقرير القرآن في وصفهم بأنهم أشد الناس عداوة للمسلمين . ولقد كان عدم مقابلة العرب لهم بما استطاعوا من قوة وما بدا من تقصيرهم وعدم تضامنهم في مجاهدتهم سبباً قوياً من أسباب ما شجع اليهود على بغيهم وما صار أمرهم اليه من قوة ، وان في الاستمرار في ذلك خطراً ليس أشد منه خطراً على بلاد العرب والاسلام ، وانه لمن أوجب الواجبات عليهم أن يجدّدوا منذ الآن في الامر وان لايهدأ لهم بال حتى يقضوا على جرثومة الشر قضاءً مبرماً كما قضى عليها نبيهم ويطهروا

بلادهم منها كما طهرها ، وأن يعدّوا من اجل ذلك كل ما استطاعوا من قوة ، تنفيذاً لأمر القرآن ، وانهم لفاعلون ان شاء الله ، وقادرون عليه اذا جدّوا وصدقوا . ولا يغرنهم ما يلقاه اليهود الآن من تأييد الطامعين الظالمين وعونهم ، فان ذلك لن يدوم ، وقد وعد الله عباده المؤمنين المخلصين بالنصر المبين وكتب على اعدائهم اليهود الذلة والمسكنة والغضب ، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، ولن يخلف الله وعده .



وقع بعض أغلاط مطبعية لاتخفى على اللبيب ولكنا رأينا ان نضع هذا الثبت لما جاء في الآيات القرآنية رجاء تصحيحها قبل الوصول اليها حرصاً على ضبط القرآن الكريم

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٩	٨	في القوم	مع القوم
٩	١١	السوء	السيئات
٩	١٢	وأصلحوا	وآمنوا
١٢	٩	فلاتكونن الممترين	فلاتكونن من الممترين
١٤	٩	فريقاً كذبتم	ففريقاً كذبتم
١٥	٧	مَسمَع	مُسمَع
٢٢	٧	معيبة	سيئة
٢٣	١٤	من الذين هادوا هادوا حرمنا	من الذين هادوا حرمنا
٢٩	١٢	وما أنول	وما أنزل

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٩	١٦	ربه المؤمنون	ربه والمؤمنون
٣٩	١١	الكتاب ان	الكتاب مَن ان
٣٩	١١–١٢	ومنهم ان	ومنهم من ان
٤٠	١١	اد كنتم	اذ كنتم
٤٣	١٥	فأنزلنا عليهم	فأنزلنا على الذين ظلموا
٤٤	١	واذا أخذنا	واذ أخذنا
٤٤	٦	ووفعنا	ورفعنا
٤٥	٢	الكلم عن مواضعه	الكلم من بعد مواضعه
٥٠	١٦	بتفجر	يتفجر
٥١	٤	أتجاجوننا	أتحاجوننا
٥١	٨	بعافل	بغافل
٥١	١٠	أم	ألم
٥١	١٠	الملا	الملأ
٥١	١٠	اد	اذ
٥١	١١	ابعث ملكاً	ابعث لنا ملكاً

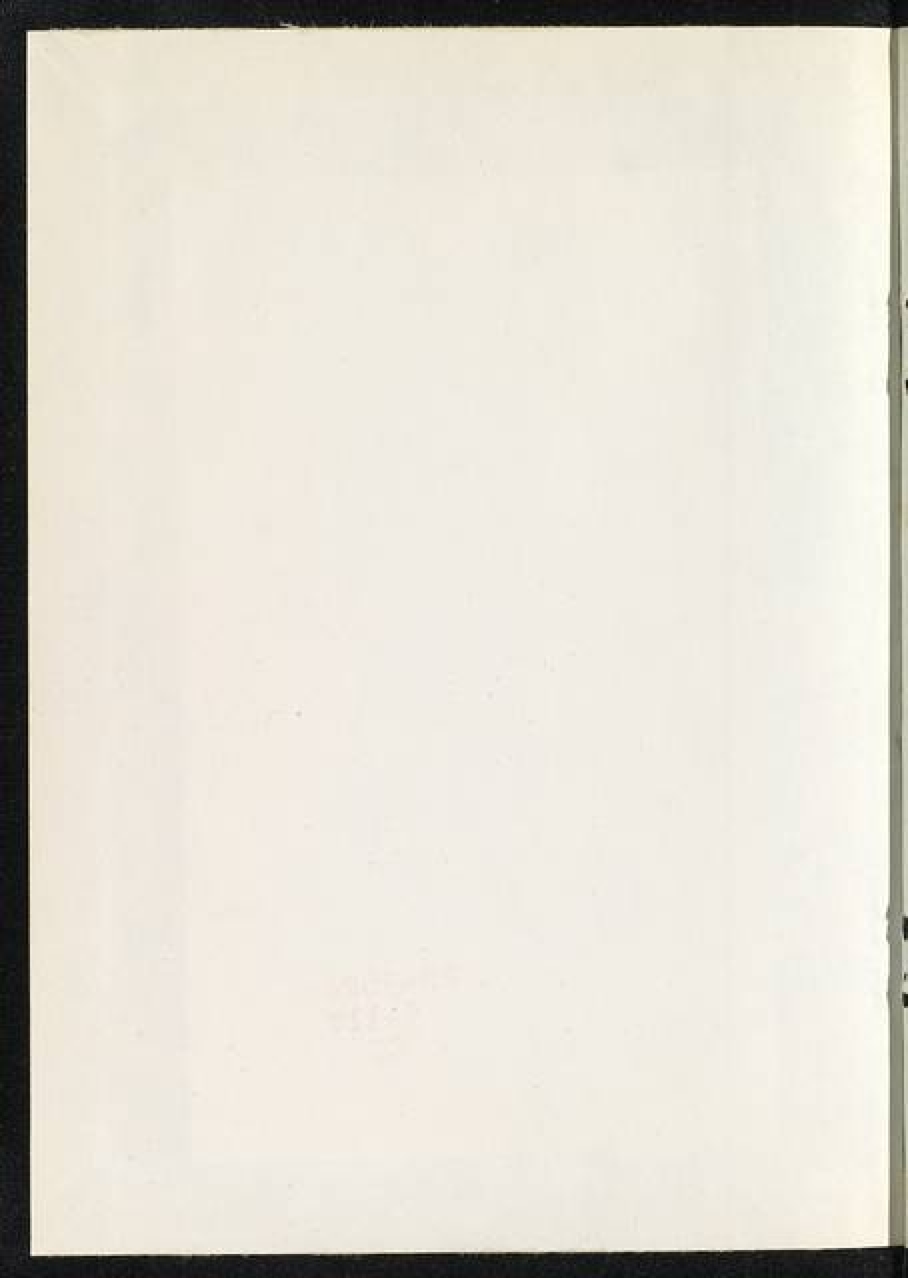
الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٥١	١٢	قالوا مالنا	قالوا ومالنا
٥٢	١٢-١٣	فيالكم فلم تحاجون	فيما لكم به علم فلم تحاجون
٥٢	١٥	موسى لقومه	واذ قال موسى لقومه
٥٤	٤	منه	منهم
٥٤	٧	وذ	واذ
٥٧	١٥	يعقلون	يعلمون
٦١	١٠	عدل وهم لاينصرون	عدل ولاهم ينصرون
٦١	١٣	تنطرون	تنظرون
٦٦	١٠	جاجوك قل	حاجوك فقل
٦٦	١١	أأسلمتهم	أأسلمتم
٦٦	١٤	قل أهل	قل يا أهل
٦٩	٥	الآخره	الآخرة
٧٠	١	فسيكفيكم	فسيكفيكهم
٧٠	٢	صبعه	صبغة
٧٤	٨	كمتل	كمثل

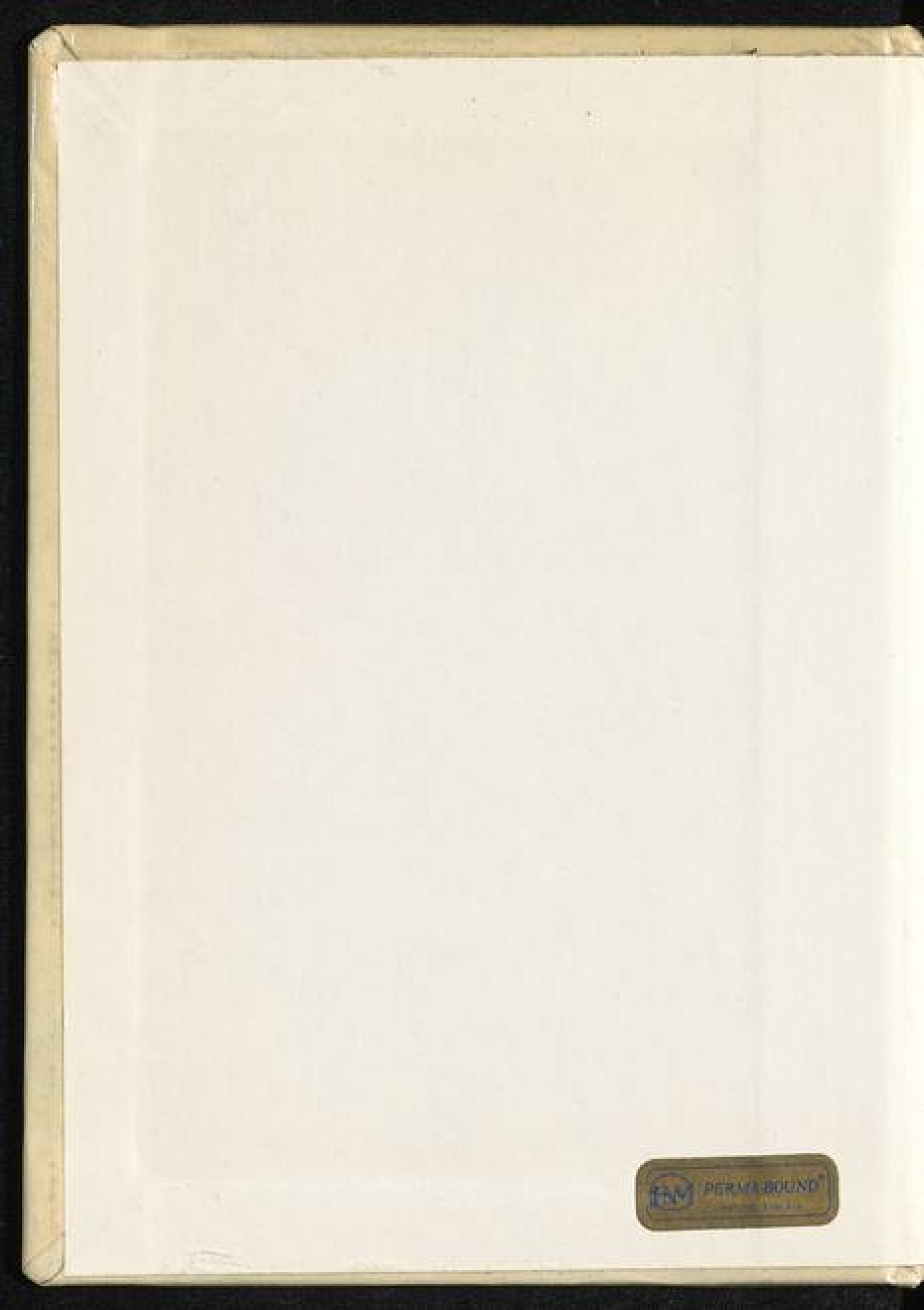
الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
٧٤	١١	فتنمنوا	فتمنوا
٧٨	١٦	لهم وان	وان الذين
٧٩	٩	الزكاه	الزكاة
٨١	٥	يقولولون	يقولون
٨٦	١١	آياتنا ويعلمكم	آياتنا يزكيكم ويعلمكم
١٠٠	٧	فتموا	فتمنوا
١٠٥	٣	الله يحرفونه	الله ثم يحرفونه
١٠٦	٦	يا أهل الكتاب لم تلبسون	يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون. يا أهل الكتاب لم تلبسون
١٠٩	١٥	وهم يعمون	وهم يعلمون
١١٧	٧	أولياء اتقوا	اولياء واتقوا
١١٨	١٢	وجعل منه	وجعل منهم
١٢١	١٠	ان الدين	ان الذين

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢١	١٠	بن بعد	من بعد
١٢٢	١٢	انزل	نزل
١٢٩	١٥	والجناحر	الخناجر
١٣٠	٥	المؤمنون	المؤمنين
١٤٥	٧	ان لله	ان الله
١٤٥	٩	أكم	ألم
١٤٥	١٦	دلك	ذلك
١٤٦	١	برى	برىء



Back





آثار المؤلف المطبوعة

دروس في فن التربية — مترجم عن الأفرنسية

مختصر تاريخ العرب والاسلام — جزآن

دروس التاريخ العربي

دروس التاريخ المتوسط والحديث

دروس التاريخ القديم

موجز تاريخ حلول أوروبا في الشرق العربي

تركية الحديثة

عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة — مقتبس من القرآن الكريم

سيرة الرسول عليه السلام — جزآن « « « « «

آثار المؤلف التي هي تحت الطبع والاعداد

هدى القرآن ودستوره في شؤون الحياة

القرآن المجيد تنزيله وأسلوبه وجمعه ومناهج تفسيره والطريقة المثلى لتفسيره

التفسير الحديث تفسير كامل للقرآن في نحو ٢٠٠٠ صحيفة

على هامش الحركة العربية في نحو ١٢٠٠ صحيفة

مطبوعات مكتب فلسطين لدى اللجنة المركزية العليا للاخوان المسلمين في بلاد الشام

طبع في مطابع المنار